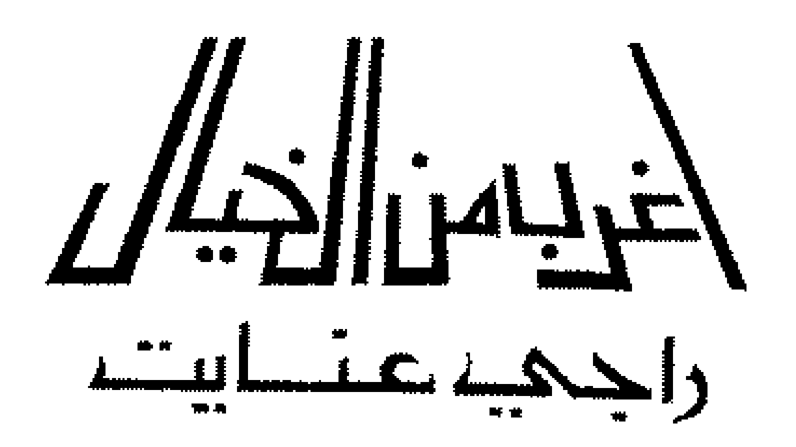
أغرب من الخيال

راجي عنايت

عجائب بلا تفسير

دار الشروق

عجائب بلا تفسير



راجي عنايت

عجائب بلا تفسير

دار الشروق

الطبعة الأولى

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

الطبعة الثانية

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

الطبعة الثالثة

١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

الطبعة الرابعة

١٤١١هـ - ١٩٩١م

الطبعة الخامسة

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

الطبعة السادسة

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

© دار الشروق

بيروت: [illegible] برقياً: داشروق

تلكس [illegible] هاتف: [illegible] فاكس: [illegible]

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني [illegible] فاكس: [illegible] تلكس:

[illegible] شارع سيبويه المصري - مدينة نصر [illegible] فاكس: [illegible]

هـذه السلسلة

ظلّ العلم لزمن طويل يتجنّب الاقتراب من معظم الظواهر الخارقة الغريبة التي تتكرّر في حياتنا ، ومن حولنا . والعلماء الروّاد القلائل الذين حاولوا التصدّي لبعض هذه الظواهر ، صادفوا من الهجوم والسخرية والتسفيه ، ما أقنع باقي العلماء بعدم محاولة الاقتراب من ذلك التيه الحافل بالمخاطر .

وهكذا ، تراكمت الخرافات حول هذه الظواهر ، جيلاً بعد جيل ، ممّا جعل مهمّة الباحث المحقّق أكثر صعوبة ... أصبح عليه أن يعثر على الحقيقة الضائعة ، كالإبرة وسط أكوام القشّ ..

لكن نصف القرن الماضي ، شهد هجمة ضاربة من جانب أوساط البحث العلمي .. هجمة توغّلت بكل شجاعة ، وبكل موضوعية علمية ، في عمق أعماق هذه الظواهر .

هذه السلسلة ، عزيزي القارئ ، تنقل إليك أحدث ما توصّل إليه البحث العلمي حول الظواهر الخارقة والغريبة ، داخلنا .. وحولنا .. ، لتؤكد أننا على أبواب عصر جديد من المعرفة الشاملة ، تزول فيه التناقضات بين وسائل المعرفة البشرية المختلفة ، وتلتقي فيه أقدم العقائد البدائية مع أحدث ما تتعامل معه العقول الالكترونية .



مقدمة

يقول الكاتب الجريء تشارلز فوت « نحن نؤمن بأن كل شيء جدير بالبحث والتأمل .. ونحن لا يمكن أن نصل إلى النتائج الكاملة ، إذا ما استبعدنا أي عنصر أو ظاهرة من نطاق البحث .. » .

وعلى مدى التاريخ ، أدينت ، وأهملت أثمن وأهم الحقائق العلمية باسم العلم والتفكير العلمي ، ومع ذلك فقد فرضت تلك الحقائق العلمية نفسها آخر الأمر ..

الأهم دائماً ، أن نفتح الباب واسعاً أمام كل سؤال ، ولا نعمد إلى الثنائية الزائفة التي لها مظهر العلم ، والتي تخضع الأشياء لكلمتي نعم ولا ، أو صواب وخطأ ، أو سلبي وإيجابي . علينا أن نتجاوز هذا المنطق الذي يتناقض مع وحدة الكون ، ومع الوحدة المطلوبة للمعرفة البشرية .

والذي لا شك فيه ، أن الذي نعرفه عن الإنسان وطاقاته يعتبر جانباً صغيراً ضيقاً ، من واقع ذلك الجرم الصغير الذي ينطوي فيه العالم الأكبر . كما أن الذي نعرفه عن العالم من حولنا ، وهو كثير ، يكشف لنا عن الجديد من علامات الاستفهام التي لا يجد لها العلم حالياً ، الإجابات المفيدة . فالثابت أنه كلما اتسعت دائرة العلم أمام العقل البشري ، ترامى محيط الغموض والجهل .

يقول الكاتب العلمي الإنجليزي ، فرانسيس هتشنج « إذا ما بقي لغز من الألغاز طويلاً بلا تفسير ، فهذا يعني أننا نحتاج إلى تفكير جذري جديد ، حتى ولو لم يجد ذلك التفكير نظرية علمية حاضرة يستند إليها .. »

في هذا الكتاب سنعرض بعض الوقائع العجيبة التي خضعت لحد أدنى من البحث والتحقيق العلمي ، والتي تؤكد ما قلناه من قبل ، حول تضاعف محيط الجهل ، باتساع دائرة العلم ، وحول ضرورة البحث عن أساليب جديدة في التفكير والبحث ، حتى تتكامل معارفنا البشرية .

راجي عنايت

أطفـــال وعجـــائب

الطفولة ، توحي دائماً بالبراءة والصدق . كما أن الطفولة تعني بكارة الطاقات العقلية ، والقدرات الحسّية ، الأمر الذي نفتقده كلما ارتبطنا أكثر فأكثر بحدود الفكر المادي الذي ارتضته البشرية لها .

في هذا الفصل يمكننا أن نتابع مجموعة من العجائب التي اقتصرت في بطولتها على الأطفال .

في الرابعة ويكتب بالاختزال

هذه الواقعة تلقي ضوءاً على مرحلة ما بعد الموت . بطلها طفل في الرابعة من عمره ، كتب أعجب رسالة . وقد حقق هذه الواقعة بدقة كاملة دكتور راين استاذ علم الباراسيكلوجي في جامعة ديوك .

وجدت الزوجة نفسها أرمل ذات فجأة ، عليها أن تراعي طفلها البالغ من العمر أربع سنوات بالإضافة إلى عملها في إدارة الفندق الذي كان زوجها يملكه . وهكذا ، كان الطفل يمضي شطراً كبيراً من وقته في بهو الفندق . وذات مساء ، بعد وفاة الزوج بأسبوعين ، لاحظت الزوجة أن الطفل يسود صفحات دفتر وقع في يده بخطوط عجيبة ، ما أن ينتهي من صفحة ، حتى يقلبها ويسود الصفحة التي بعدها ، وهكذا حتى انتهى

من شغل ثلاث صفحات كاملة ، قطعها من الدفتر ، وطواها ، ثم وضعها في صندوق البريد الخاص بأمه .

في الصباح التالي ، أخذت الزوجة تستعرض الخطوط المهوشة التي خطها الطفل ، فقال لها أحد كتبة الفندق ، إن هذه الخطوط أشبه بكتابة الاختزال . ولما كان ، لا الموظف ولا الزوجة يعرفان شيئاً عن رموز الاختزال ، فقد توجها إلى موظف بالفندق مختص في الكتابة بالاختزال .

أكد لهما الرجل الشبه الكبير بين ما خطه الطفل وبين رموز الاختزال ، لكنه قال ان هذا الأسلوب في الاختزال يبدو عتيقاً ، لم يعد يستخدم بعد .

ومع ذلك فقد اعتمد الرجل على مراجعه في ترجمة الرموز التي وردت في صفحات الأبن . وعندما أخذت الأم في تجميع معاني هذه الرموز ، وجدت انها تتضمن رسالة محددة ! .

بدأت الرسالة بنداء التحبب الخاص الذي كان الزوج المتوفى ينادي به زوجته . ثم أفادت الرسالة أن بعض الأوراق المالية الهامة ، التي تتضمن بعض الايصالات ووثائق التأمين ، توجد في خزانة خاصة بأحد بنوك نيويورك .

بعد أن تحرت الزوجة حقيقة ما جاء في الرسالة ، ثبت صدقه . وجدت جميع هذه الأوراق في الخزانة ، وكانت السبيل إلى حل الكثير من المشاكل المالية التي حلت نتيجة الوفاة المفاجئة للزوج .

أغرب ما في الموضوع ، ما ظهر بعد دراسة الواقعة ، من أن الوالد المتوفى ، كان يعمل في شبابه كاتباً للاختزال ، وأنه كان يستخدم نفس

الطريقة العتيقة في اختزال الكتابة التي سود بها الطفل صفحاته الثلاث .

متزوج في الثالثة وله أولاد !

واقعة أخرى كان بطلها طفلاً هندياً . ولد برامود شارما في مدينة بساولي في مقاطعة بادون الهندية ، في ١٤ مارس ١٩٤٤ . وكان الابن الثاني للأستاذ بانكي لال شارما ، المدرس بأحد المعاهد المتوسطة .

أثار الطفل دهشة أهله ، عندما أعلن لوالديه وهو بعد في الثالثة من عمره ، أنه يرفض الاسم الذي أطلقاه عليه ، وأنه يود لو ناداه الجميع باسمه « الحقيقي » الذي هو بارامانانـد ! .. وكان هذا ، بداية لسلسلة من العجائب .

راح الطفل بعد ذلك يتحدث عن مدينة تسمى مراد أباد عاش فيها من قبل . وبالطبع كان والدا الطفل قد سمعا العديد من الحكايات عن أطفال أو رجال تكلموا عن حيوات سابقة عاشوها ، وفقاً لعقيدة تناسخ الأرواح السائدة في الهند . وبصفة خاصة قصة شانتي ديفي التي لا تزال تعيش وتعمل في نيو دلهي ، والتي بذلت جهداً حتى تمنع نفسها من تذكر وقائع حياتها السابقة في مدينة موترا ، بعد المشاكل التي أوقعتها فيها هذه الذكريات ، وهي واقعة محققة ، تمت دراستها على أيدي علماء موثوق بهم . ومع ذلك ، فسماع قصة عن التناسخ شيء ، وحدوث هذا لفرد من أفراد العائلة شيء آخر .

كان الطفل يتكلم بإصرار عن حياته في مدينة مراد أباد ، ويقارنها بحياته الراهنة كابن للأستاذ شارما . ثم أخذ يلحّ على والده بأن يأخذه

إلى بيته « السابق » ! . ثم وعد بأن يدل والده على المتجر الذي كان يملكه في حياته السابقة ، والذي يضم من السلع ما لا يتوافر في مدينتهم الحالية بساولي . وقد رفض الأستاذ بانكي وزوجته الاستجابة لالحاح الأقرباء بالسفر مع الطفل إلى مراد أباد لتبين حقيقة الأمر .. وكان رفضهما راجعاً إلى عقيدة شائعة بين الهنود ، مفادها أن الشخص الذي تكون له حياة سابقة ، لا يعيش طويلاً .

بلغ الأمر ذروته ، عندما عاد الطفل من الشارع ذات يوم ، متقمصاً شخصية باراماناند ، قائلاً انه حضر للتو من مدينة ساهارانبور . وأضاف قائلاً « لقد أصاب البلل معدتي ، وهذا هو السبب في وفاتي .. الأمر الذي جاء بي إلى مدينة بساولي » ! ..

أخذ الطفل بعد ذلك يذكر جوانب من حياته السابقة . قال إنه كان يملك متجراً في مراد أباد ، وانه كان له أربعة أبناء وبنت واحدة ، وانه كان أحد أربعة أخوة . راح يصف زوجته السمينة التي ما زالت تعيش في مراد أباد ، ويرجو والده أن يأخذه إلى هناك ، حتى يثبت صدق ما يقول ..

في ١٥ أغسطس ١٩٤٩ ، اصطحب الأستاذ شارما ابنه وبعض الأقارب ، وركبوا القطار إلى مدينة مراد أباد . فقد شعر الوالد بضرورة حسم تلك المسألة .

والنتيجة ... أن الطفل اجتاز الاختبار بنجاح غير متوقع . فبالرغم من أنه لم يكن قد زار مدينة مراد أباد من قبل ، فقد قاد والده ومن جاء معه بلا تردد إلى المحل الذي يديره اخوته . ثم قادهم إلى مصنع للمياه الغازية الذي كان المرحوم باراماناند يديره ، وأخذ يشرح بالتفصيل كيف

تعمل أجهزته وآلاته ، وكيف جرى تركيبها داخل المصنع .. معلومات يستحيل ادراكها على طفل في الخامسة من العمر .

وكان من الطبيعي أن يجري لقاء بين الطفل وعائلته المزعومة . ساعتها ، تعرف برامود على زوجة المرحوم باراماناند وعلى بنته وعلى أولاده . وأخذ يتحدث معهم عن أشياء حميمة خاصة لا يمكن لغريب عن البيت أن يعرفها ، ونجح في الإجابة عن جميع الأسئلة التي طرحوها عليه .

وعندما قام ليتجول في البيت الذي عاش فيه المرحوم باراماناند ، كان يشير إلى التغييرات التي طرأت على البيت منذ الوفاة ، ومن ذلك إشارته إلى الحجرتين الجديدتين اللتين أضيفتا حديثاً إلى البيت .

وما أن حل موعد انصراف الزوار وعودتهم إلى بساولي ، تعلق الطفل بأفراد العائلة التي قال انه عاش حياته السابقة معها ، مما اضطر والده إلى انتزاعه انتزاعاً ، الأمر الذي أسال دموع عائلة المرحوم باراماناند ، وجعلهم يجزمون بأن روح رب العائلة الراحل تعيش في جسد ذلك الطفل .

واليوم ، يعيش برامود شارما مع والديه في بساولي ، محاولاً أن ينسى الظروف العجيبة التي ربطته بأشخاص آخرين يعيشون في مدينة أخرى .

الذين تصدوا لتحقيق هذه الحالة وجدوا أن الطفل كان صادقاً عندما أشار ذات يوم إلى بلل معدته وأمعائه الذي أدى إلى وفاته . فالمرحوم باراماناند كان قد دخل المستشفى شاكياً من أوجاع جذعه ، وأنه توفي بعد قليل من الحمام الساخن الذي أخذه .

لقد توفي باراماناند عندما بلغ ٣٩ سنة من عمره في مدينة مراد أباد .. بالتحديد في ٩ مايو ١٩٤٣ . أما برامود شارما فقد ولد في ١٥ مايو ١٩٤٤ .

وفي ١٥ أغسطس ١٩٤٩ ، بدأ الطفل برامود يردد الأقوال عن أحداث حياته السابقة ! ..

من اللاتينية إلى التركية

أخذت جماعة الأطباء البالغ عددها ١٢ طبيباً تحملق في الصبي باندهاش ، وكان لهم كل الحق في ذلك . كانوا قد انتهوا لتوهم من كتابة جمل طويلة معقدة على السبورة ، استطاع طفل صغير أن يقرأها في سلاسة ودون توقف أو خطأ .

كان ذلك العرض مشهوداً لعدة أسباب . أولها ، انهم قد كتبوا الجمل باللغات اللاتينية والاسبانية والفرنسية والالمانية والتركية . وثانيها ، أن ذلك الصبي الذي قرأها لم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من عمره ، وان عمره العقلي لم يكن يتجاوز أربع سنوات ! ..

فقد وصل بوبي ، وهذا هو اسم الصبي ، إلى دار كفتكي لرعاية الأطفال بمدينة لفيدون ، بالقرب من لويزفيل ، عام ١٩٥٧ . وفي ذلك الوقت كان بوبي في السادسة من عمره . وبعد أن فحصه الأطباء بالدار ، أثبتوا انه متخلف عقلياً ، يمشي ويتكلم ويقرأ ، لكنه لم يكن قادراً على ارتداء ملابسه بنفسه .

في ذلك الوقت ، دخل بوبي ذات يوم يتقافز لاهيا إلى حجرة الطبيب المشرف على الدار ل . ف . بولاند . وكانت شهادة التخرج الخاصة بالطبيب معلقة على الحائط خلف مكتبه ، ومكتوبة باللغة اللاتينيه . ألقى بوبي نظرة خاطفة على الشهادة ، ثم بدأ يقرأ ما بها كلمة كلمة بدون

توقف . أثار هذا دهشة الطبيب الشديدة ، وعندما كتب الطبيب في ورقة عدة جمل باللغة الالمانية وقدمها للطفل « المتخلف عقلياً ! » ، قرأها على الفور بدون أن يرتكب أي خطأ .

وعندما وصل إلى الدار طبيب تركي وعرف مقدرة ذلك الطفل ، تقدم إلى السبورة وكتب جملة من ٢٦ كلمة باللغة التركية ، ولم يخيب بوبي جمهوره هذه المرة أيضاً ، لقد قرأ على التو الجملة التركية ، مما أثار دهشة الطبيب الزائر .

عندما أجريت البحوث على الطفل ظهر من تاريخه ، انه جاء من عائلة فقيرة جداً بمدينة لويزفيل . وكان قد أصيب اصابة حادة في رأسه أثناء ولادته بعملية قيصرية . وفيما عدا ذلك كان ما بقي باعثاً على حيرة الباحثين . كانت لدى بوبي قدرة القراءة التي يتمتع بها طالب جامعي ، لكنه حصل على صفر في جميع الاختبارات الأخرى .

مرجريت ومرضها الغريب

عام ١٩٦٠ كانت مرجريت جاكسون من مدينة شيروود بولاية تينيسي في الثانية من عمرها ، عندما أصابها المرض فجأة . لم يستطع طبيب الأسرة أن يشخص المرض الذي أصابها . فتم استدعاء غيره من الأطباء لفحص الطفلة ، لكنهم فشلوا جميعاً في تشخيص المرض . وهكذا جرى نقل الطفلة إلى المستشفى فاندربيلت بمدينة ناشفيل ، حيث بقيت تحت المراقبة لعدة أسابيع . ورغم أن أطباء المستشفى لم يتوصلوا إلى شيء ، فقد بدأت أعراض المرض تختفي دون سبب معروف ، وفي نفس الوقت بدأت

الطفلة تفقد بصرها .. وهكذا غادرت مرجريت المستشفى وقد شفيت من مرضها دون علاج ، وفقدت بصرها دون سبب .

كان والد مرجريت الذي يعمل كهربائياً على صلة وثيقة بالقس جون هاسلك ، راعي كنيسة شيروود ، وعندما علم القس بحالة الطفلة ، وبفشل الأطباء في علاجها ، نصح والدها بالاعتماد على الصلاة .

على مدى سنتين تقريباً ، واظب الوالدان على الصلاة ، مرة على الأقل كل يوم ، من أجل اعادة البصر إلى ابنتهما . وكانت تمر عليهما أوقات ، يفقدان فيها الأمل في جدوى الصلاة أيضاً ، لكن القس هاسلك كان يحثهما على مواصلة الصلاة ، من أجل مرجريت .

ذات ليلة ، وبعد سنتين تقريباً من إصابة الطفلة بالمرض الغريب ومن شفائها الأغرب منه ، بدأت أعراض المرض السابق تظهر عليها من جديد . فأسرع الوالدان الملهوفان بالطفلة إلى مستشفى فاندربيلت مرة ثانية ، استجابة لنصيحة سابقة من الأطباء بنقلها إلى المستشفى بمجرد عودة أعراض المرض اليها .

ومرة ثانية ، خضعت الطفلة التي أصبحت الآن في الرابعة ، لمزيد من الفحوص المكثفة ، لكن طبيعة المرض بقيت خافية على كافة الأطباء . وبقيت الطفلة بالمستشفى ، دون علاج ، حتى بدأت أعراض المرض تختفي من جديد ، وسمح الأطباء للوالدين بأخذ طفلتهما إلى البيت . فعادت وشفيت ، وإن بقيت فاقدة البصر .

ذات مساء ، بعد أن تناولت العائلة العشاء ، جلس الوالد إلى جوار طفلته العمياء ووضع سيجارته بين شفتيه ، وأشعل عود الثقاب لاشعال

سيجارته ، فلاحظ أن الطفلة تضحك وتمد يديها نحو ضوء لهب الثقاب .. وبعد عدة أسابيع من هذه الواقعة ، عاد إليها بصرها بنفس الطريقة الغامضة . وهكذا عادت الطفلة مرجريت لتلعب وتعدو مع صاحباتها من الصغار ، حتى بدون الحاجة لاستخدام نظارة .

كيف مرضت ؟ ولماذا فقدت بصرها ، ثم كيف شفيت وعاد اليها بصرها ؟ .. اسئلة لم يستطع الأطباء الإجابة عنها .

الأحلام العجيبة

بعض النظريات تنظر إلى الأحلام باعتبارها (العادم) الذي ينتج عن عملية تصنيف خبرات اليوم السابق في أرشيف الذاكرة بالمخ ، وهي تظهر فقط أثناء احدى حالتي النوم ، نعني بذلك النوم الظاهري أو النوم النشيط ، الذي يتميز بحركة سريعة لمقلة العين تحت الجفون . أثناء هذه العملية تنفتح مغاليق الملفات المختلفة في المخ ، وتظهر الأحلام التي تلتقط مادتها من توافيق وتباديل مادة الذاكرة بالمخ ، قديمها وجديدها . فالاحلام - بمنطق هذه النظرية - ليس لها من دلالة سوى ما يمكن أن تكشف عنه من مكنون الملفات القديمة .

ولكن تنظر بعض النظريات الأخرى إلى الأحلام بشكل آخر ، فتميل إلى اعتبار بعضها شكلاً من أشكال الاتصال التخاطري بين النائم وبين غيره من البشر الأحياء ، وفي بعض الأحيان الأموات . ووفقاً لهذه النظرية ، تكون الأحلام عبارة عن رسائل مقصودة ذات دلالة يتلقاها المخ البشري ، ومن ثم تكون لها تفسيراتها النافعة .

الحلم يسبق الحادثة

وفيما يلي بعض الأحلام ذات الدلالة ، والتي تجعلنا نميل للأخذ بالشق

الثاني من النظريات . رقدت السيدة ويني ويلكنسون من شيفيلد بانجلترا ، ظهرا لتغفو قليلاً في يوم من أيام صيف عام ١٩٦٢ . وكان هذا نادراً ما يحدث لها ، فإنها لم تتعود أن تنام أثناء النهار . والأغرب من هذا ، انها رأت أحلاماً خلال ذلك ، مع أنها نادراً ما تتذكر أحلامها عندما تستيقظ .

في مركز الشرطة ، حكت السيدة ويلكنسون للضابط ما أزعجها في حلمها الذي رأته . حلمت أنها تسمع طرقاً ثقيلاً ملحاً على الباب الأمامي لبيتها ، وعندما فتحت الباب « في الحلم طبعاً » حيتها امرأة منفعلة لم ترها من قبل . قالت المرأة إن السيد ويلكنسون قد سقط لتوه من سقالة بناء ، وأنه أصيب بجراح خطيرة ، وانه يطلب زوجته على وجه السرعة .

كانت السيدة ويلكنسون قد انفصلت عن زوجها منذ ستة أشهر ، وكانا يستعدان لاتخاذ إجراءات الطلاق ، لكنها عندما استيقظت من نومها في الساعة الثالثة و١٢ دقيقة بعد الظهر ، أثار ذلك الحلم قلقها ، فاتصلت بالذين يعملون مع زوجها ، الذين أكدوا لها أن زوجها بخير ، وان شيئاً مما أثار مخاوفها لم يحدث . وفي اليوم التالي ، وفي تمام الساعة الثالثة و١٢ دقيقة بعد الظهر ، انكسرت احدى السقالات التي كان يقف عليها السيد ويلكنسون ، وسقط ميتاً ! .

أي أن السيدة ويلكنسون عرفت بوفاة زوجها قبل أن تحدث بأربع وعشرين ساعة .

ملامح الضابط البحري

وفي ربيع ١٩١٥ ، انتهى العالم والمحاضر البريطاني الأستاذ هولبورن من جولة ناجحة لالقاء سلسلة من المحاضرات في الولايات المتحدة الأمريكية ، وحجز مكاناً على الباخرة الضخمة « لوزيتانيا » ، ليبحر عليها عائداً إلى انجلترا .

في الساعات المبكرة من صباح السابع من مايو عام ١٩١٥ ، كانت السيدة ماريون زوجة الأستاذ هولبورن تجلس مسترخية على مقعد وثير بغرفة المكتبة في بيتها . غلبها النعاس ، فرأت أحلاماً ، أحلاماً مزعجة بالنسبة لها . رأت أنها تسافر على ظهر باخرة ضخمة من عابرات المحيط . كانت الباخرة تمر بمحنة مؤلمة ، وقد مالت إلى جانبها بشكل خطير ، وقد أنزلت قوارب النجاة إلى البحر . كان ركاب الباخرة يتدافعون لكن دون أن يفقدوا أعصابهم . رأت السيدة هولبورن نفسها في الحلم وهي تقف على السطح الأعلى للباخرة الغارقة ، عندما مر بها ضابط شاب من ضباط الباخرة . سألت الضابط إذا ما كان زوجها ما زال على متن الباخرة ، أجابها الضابط على الفور وبثقة أن الأستاذ هولبورن قد هبط لتوه إلى أحد قوارب النجاة .

هنا ، أفاقت السيدة هولبورن من نومها ، لتجد نفسها في غرفة المكتبة ببيتها ، وقد انشغل عقلها بذلك التحذير الذي تلقته في حلمها .

عندما جلست السيدة هولبورن إلى مائدة الافطار مع عائلتها ، ناقشت الحلم الذي رأته ، فضحكوا منها جميعاً ، وقالوا « إنه مجرد كابوس آخر ! .. » .

بعد هذا بساعات ، تغيرت نظرة العائلة إلى ذلك الحلم .

لقد وصلت الأخبار ، تفيد ان الباخرة « لوزيتانيا » قد غرقت نتيجة قذيفة صوبتها إليها غواصة ألمانية بالقرب من الشواطئ الايرلندية ، وأن الخسائر في الأرواح كانت جسيمة .

وقد علمت العائلة فيما بعد ، عندما وصلت تفاصيل الأخبار ، أن الأستاذ هولبورن قد ساعد الكثيرين من الركاب على ارتداء سترة النجاة ، والهبوط إلى قوارب الانقاذ ، قبل أن يهبط هو إلى قارب الانقاذ ، الذي نجا جميع من كانوا فيه .

عندما عاد الأستاذ هولبورن إلى منزله ، روت له زوجته حلمها ، وعندما وصفت له الضابط الشاب الذي استفسرت منه عن مصير زوجها ، بدت الدهشة الشديدة على وجه الزوج ، وقال إن هذا الوصف ينطبق فعلاً على الضابط البحري الشاب الذي أمره بالهبوط إلى قارب النجاة !

القاتل والمطرقة

ومن أمريكا تجيء قصة الأمريكي السوري الأصل جوزيف عامر صاحب محل إصلاح الأحذية ، والذي اختار لمحله أو ورشته قطاعاً من مدينة انديانابوليس ، يستطيع فيه أن يحقق ربحاً أكبر . نجح جوزيف عامر في عمله ، وكان محبوباً من الجميع ، الذين قدروا فيه حبه لفعل الخير ، وتقديم الخدمات لمن حوله .

مضت الحياة بعائلة جوزيف عامر ، التي تتكون من زوجته روث ،

وابنه أوسكار الذي تخرج بامتياز في دراسته العالية ، وحصل على مركز متفوق في نشاطه الرياضي .

مضى كل شيء ناعماً في حياة الأسرة ، حتى جرت الواقعة المشؤومة بعد ظهر السابع من أغسطس عام ١٩٦٢ . ففي ذلك اليوم لم يعد جوزيف عامر البالغ من العمر ٦٧ عاماً ، إلى بيته ليتناول طعام الغداء كعادته .

وبينما كانت زوجته في انتظار وصوله ، غفت ، ورأت في نومها كابوساً فظيعاً . لقد قالت للشرطة انها رأت زوجها يصارع رجلاً ، يحاول أن يضرب الزوج بمطرقة ، وينجح الرجل في ضرب الزوج بالمطرقة على رأسه أكثر من مرة ، قبل أن يعدو هارباً من محل زوجها .

أفاقت زوجة عامر من نومها ، نظرت إلى ساعتها ، فأدركت أن زوجها قد تأخر كثيراً عن موعده المعتاد . حاولت أن تطمئن نفسها بأن الزوج لا ريب أراد الانتهاء من اصلاح بعض الأحذية التي يتعجل أصحابها تسلمها ، كما كان يفعل في بعض الأحيان . انتظرت الزوجة لنصف ساعة أخرى ، لم تستطع خلالها أن تتخلص من تفاصيل الكابوس المزعج الذي رأته . وضعت بعض الطعام في سلة ، وأسرعت إلى متجر زوجها الذي يبعد عدة بنايات عن البيت .

كان باب المتجر مفتوحاً على اتساعه ، الأمر الذي لم يكن معتاداً في مثل ذلك الجو الحار . عندما دخلت إلى المحل ، وجدت زوجها مطروحاً على الأرض خلف المنصة . كانت يداه موثوقتين خلف ظهره بالدوبار المستخدمة في إصلاح الأحذية ، قد ضرب بمطرقته على رأسه ضرباً وحشياً حتى لفظ آخر أنفاسه ، وكانت المطرقة ملقاة إلى جواره . ولم

ينقص شيء من المحل ، سوى بضعة دولارات ، وكانت في الدرج الذي يحتفظ فيه الزوج بالايراد .

استمع رجال الشرطة ، بغير اقتناع ، إلى الزوجة الملتاعة ، وهي تعطي أوصاف القاتل كما رأته في حلمها قبل ساعات من ذلك . لكن أحد رجال الشرطة ، تذكر أن رجلاً تنطبق عليه هذه الأوصاف ، شوهد يغسل ما علق بيديه من دماء في إحدى الحانات ، بعد الوقت الذي توفي فيه جوزيف عامر بقليل . وعند القبض على المجرم وليام ادموندز ، اكتشف رجال الشرطة ان زوجة القتيل أعطت وصفاً دقيقاً ، ليس فقط لملابس القاتل ، ولكن لملامحه أيضاً .

عندما حوكم القاتل ، لم يعتمد القضاء بالطبع على حلم زوجة القتيل ، لكن ما رأته في ذلك الحلم ، كان له أكبر الفضل في القبض على القاتل . قد اكتفى القضاء بالحكم عليه بالسجن مدى الحياة ، لأنه ارتكب جريمته وهو واقع تحت تأثير المخدرات .

الحلم المربح

وفي بعض الأحيان ، تكون لأحلام الكوارث نهايات سعيدة . مثال ذلك الحلم الذي رآه جوليوس ديتمان في أبريل ١٩٥٦ .

كان متجر السيد ديتمان يقع في شارع أونتاريو ، بكليفلاند ، في ولاية أوهايو . في ذلك الوقت كانت مؤسسة جراجات كليفلاند ، قد بدأت إقامة مبنى ضخم بالضبط إلى جوار متجر ديتمان .

ذات ليلة ، رأى ديتمان في نومه ، أن الجراج الضخم انهار فوق متجره

فجأة ، فأحال المتجر إلى كوم من التراب . كان الحلم على درجة كبيرة من القوة والوضوح ، مما دفع السيد ديتمان صباح اليوم التالي إلى توقيع وثيقة تأمين على متجره بمبلغ ١٢٠ ألف دولار ، بشرط أن تدفع له إذا ما حدث ما يعطل العمل في متجره .

في تمام الثالثة بعد ظهر الجمعة ٦ ابريل ١٩٥٦ ، تسلم السيد ديتمان نسخته من وثيقة التأمين .

وفي السابعة من صباح السبت ٧ أبريل ، تداعى المبنى الجديد للجراج ، وهبطت مقدمة المبنى الذي لم يكتمل بعد ، فوق متجر السيد ديتمان بثمانية أقدام .

وقد أمرت السلطات بإزالة المبنى المتداعي ، وأن يغلق متجر ديتمان طوال فترة إزالة المبنى . وهكذا كان على شركة التأمين أن تدفع للسيد ديتمان قيمة وثيقة التأمين .. بفضل حلم رآه .

الكنز الروماني

كذلك قصة بيتي فوكس زوجة الحداد الفقير في مدينة شروبشاير بانجلترا ، وما حدث لها عام ١٨٩٢ .

ذات صباح أخبرت بيتي عائلتها أنها رأت حلماً غريباً في ليلتها السابقة .. شاهدت في الحلم رجالاً في ملابس لا تنتمي إلى العصر أو البلد ، يدفنون شيئاً في جانب من طريق . ورغم أنهم كانوا بين الحين والآخر يديرون رؤوسهم ناحيتها ، لكنهم لم يكن يبدو عليهم أنهم يشعرون بوجودها ، وهي من ناحيتها لم تكن قريبة منهم بالدرجة التي تسمح لها بأن تميز ذلك

الشيء الذي كانوا يدفنونه في سرية وبسرعة .

إلى هنا ، والحلم لا يزيد عن كونه حلماً من الأحلام . لكن الوصف التفصيلي الذي أعطته بيتي للرجال ينطبق على محاربين يضعون خوذات معدنية على رؤوسهم ، ويرتدون تنورات تصل إلى الركبة ، يحملون دروعاً سميكة دائرية .

في الليلة التالية ، رأت بيتي فوكس نفس الحلم ، رأت نفسها تسير في نفس الطريق ، وشاهدت نفس مجموعة المحاربين القدماء يهرولون مبتعدين عن الموقع الذي كانوا يحفرون عنده . مضت بيتي ناحية الشجرة التي كان الرجال يحفرون عندها ، فرأت بضع عملات معدنية متناثرة في الوحل ، ثم أفاقت من نومها . وقد رجحت بيتي أن المكان الذي رأته في حلمها ، يمكنها أن تتعرف على موقعه ، في الطريق بين أكينجتون وريكتار .

مرة أخرى ، لم يكن نصيب بيتي من أهلها عندما روت حلمها سوى السخرية والتأفف .

بعد عدة ليال ، عادت بيتي ورأت نفس الحلم مرة ثالثة . رأت الرجال يهرولون مسرعين في الطريق ناحية الشجرة ، كما رأت اثنين منهم يدفنان شيئاً في الأرض ، بينما وقف الباقون يراقبون . ثم رأتهم يسرعون بمغادرة المكان ، تاركين بضع عملات متناثرة حول مكان الحفر .

عندما أفاقت بيتي من نومها هذه المرة ، وفرت على نفسها سخرية أهلها ، ولم تحك تفاصيل حلمها الذي رأته لثالث مرة . بل قررت أن تقوم بعمل إيجابي . حملت معولاً . ومضت في صمت إلى الطريق الذي

اعتقدت أنه الطريق الذي ظهر لها في حلمها . وفي مكان الشجرة الصغيرة التي رأتها في الحلم ، شاهدت شجرة كبيرة ، شبيهة بتلك التي رأت الرجال في الحلم يحفرون عندها .

بدأت بيتي عملها ، مستخدمة المعول الذي أخذته معها . وعند الضربة الرابعة أو الخامسة بالمعول ، خرج المعول من الأرض حاملاً بضع عملات ذهبية قديمة . ظلت بيتي تحفر في الأرض حتى عثرت على وعاء مهترئ من فرط بقائه مدفوناً في الأرض ، يمتلئ بعملات ذهبية وفضية لم تشهد لها مثيلاً من قبل . فحملت الوعاء تحت معطفها ، وعادت إلى بيتها .

عندما حكت لأهلها ما فعلته استجابة للاحلام التي رأتها ، لم يسخر منها أحد هذه المرة ! .

أخذت العائلة تفكر في وسيلة للاستفادة من هذا الكنز ، لكنهم خافوا ان هم أعلنوا عنه ، أن تصدمهم اجراءات قانونية معقدة ، تحرمهم كنزهم الثمين . طال تكتمهم خبر الكنز الذي عثرت عليه بيتي فوكس ، انتظاراً لاتخاذ الخطوة المناسبة .

كان لهم جار ثري يدعى أوتلي ، عرف عنه أنه من هواة العملات القديمة. ذهب إليه السيد فوكس حذراً ، يحمل قطعة واحدة من العملات التي عثرت عليها زوجته ، زاعماً أنه وجدها عندما كان يحفر في الفناء الخلفي لدكان الحدادة الذي يملكه . على الفور ، أعلن اتلي أن العملة ذات أصل روماني ، فاشتراها من السيد فوكس .

لكن مع الوقت ، عرف السيد أوتلي القصة الحقيقية للكنز الذي عثر عليه آل فوكس ، وبعد أن أكد لبيتي وزوجها أن حقهما في الكنز لا

ينازعهما فيه أحد قانونياً . قام السيد أوتلي بترتيب بيع العملات لأحد علماء الآثار المحترفين السيد توماس رايت ، والذي دفع للسيدة بيتي وزوجها أربعة آلاف دولار ثمناً للعملات . وقد وفر هذا المبلغ حياة ميسرة للعائلة الفقيرة ، والأهم من ذلك أنه جعل الأسرة تتلقى روايات بيتي عن أحلامها بمزيد من الاحترام .

كانت بيتي كثيراً ما تصحب العالم الأثري رايت إلى الموقع الذي عثرت فيه على الكنز . وقام هو بدوره باصطحاب عدد من علماء الآثار ، الأمر الذي قاد في آخر الأمر إلى اكتشاف أثري ضخم ، لمدينة قديمة تدعى « أوريكونيوم » ، مدينة أنشأها الرومان قديماً ، وضاعت آثارها منذ أكثر من ١٥٠٠ سنة !

عجائب العقل البشري

ثبت بالدليل العلمي أن الإنسان يستطيع الاتصال بإنسان آخر ، اعتماداً على العقل فقط ، ودون استخدام أي من الحواس البشرية ، أو وسائل الاتصال المصنوعة ، وعبر مسافات بعيدة . أي أن العقول البشرية يمكن أن يجري بينها اتصال لاسلكي لا يعتمد على الحواس وهذا هو ما نطلق عليه اسم الاتصال التخاطري « تليباثي » . هذه الخاصية من خصائص المخ البشري ، خرجت من نطاق الظواهر الخارقة الغامضة ، وأصبحت حقيقة علمية تجري حولها التجارب في أنحاء العالم ، لدراسة آليّاتها ، والعناصر المؤثرة عليها ، متى تقوى ومتى تضعف ؟ وأي الظروف تساعد على تنشيط الاتصال التخاطري ؟

لقد توصل العلماء إلى أن أفضل الظروف لإجراء اتصال تخاطري قوي ، تتوفر عندما يكون مرسل الرسالة في حالة تأزم نفسي وعصبي ، ويفتقد أي وسيلة أخرى للاتصال ، وعندما يكون المستقبل للرسالة في حالة استرخاء ذهني ، كما يحدث بين حالتي النوم واليقظة ، قبل النوم وبعده .

وفيما يلي بعض الوقائع التي تعتمد على قدرة الاتصال التخاطري عند الإنسان .

هامبي .. النجدة

المذيع هيوارد ويلر بإذاعة مدينة شارلوت ، في نورث كاليفورنيا ، رجل ورع تقي . وهو بلا شك ، سيظل يذكر طويلاً ما جرى في يوم ١٠ يونية عام ١٩٦٢ .

كان راضياً عن يومه ، يتأهب للدخول إلى فراشه ، في حوالى الواحدة بعد منتصف ليل السبت . ركع ويلر مستنداً على سريره يتلو صلاته . لكنه توقف فجأة ، وقال لزوجته « بات ، لقد سمعت صوت اصطدام سيارة ، سأذهب لأرى حقيقة الأمر ، وأعود اليك تواً .. » .

عندما خرج ويلر من بيته ، ودخل إلى سيارته ، كان عليه أن يتخذ قراراً ، في أي الاتجاهات يسير ؟ . وأين يظن أن ذلك التصادم حدث ؟ هذا إذا كان هناك تصادم أصلاً . يقع منزل ويلر عند نقطة تفرع عدة شوارع .. وقد تساوت احتمالات حدوث التصادم فيها جميعاً ، فأيها يختار ؟ بلا تردد انطلق ويلر بسيارته في شارع بارك . وعندما وصل إلى وودلون ، انحرف يميناً هابطاً التل ، إلى حيث تتجمع قوارب صيد الجمبري . لكنه لم يجد شيئاً ملفتاً هناك . ولسبب لا يدريه ، وجد نفسه يستدير بسيارته ، ويندفع مسرعاً إلى مونتفورد دريف !

في جريدة شارلوت نيوز ، جاء وصف ما حدث نقلاً عن هيوارد ويلر « مضى لمسافة ٢٠٠ ياردة ناحية مونتفورد ، ووراء انحناء بالطريق ، وجد سيارة مصطدمة بعمود النور . كان المحرك من أثر الصدمة قد ارتد إلى فراغ السيارة . لم ير أحداً بالسيارة ، لكنه سمع صوتاً خافتاً يردد : « النجدة . هامبي .النجدة » .

أخيراً ، عثر ويلر على جو فندربيرك ، صديقه القديم ، محشوراً وسط الحطام ، وقد أصيب بجروح خطيرة ، تنزف بلا توقف . وكان فندربيرك قد اعتاد على أن ينادي صديقه ويلر باسم التدليل « هامبي » . استطاع ويلر أن يخرج صديقه من بين الحطام ، ويحمله إلى المستشفى ، حيث أجريت له جراحة عاجلة .

كيف سمع ويلر صوت تحطم السيارة ، على بعد نصف ميل من بيته ؟ . كيف عثر على السيارة المحطمة ؟ العجيب أنه بعد أن عثر ويلر على صديقه ، وذهب به إلى المستشفى ، ثم بعد مرور ٤٥ دقيقة ، عندما توجه رجال الشرطة إلى مكان الحادث ، كان ويلر هو الوحيد الذي مر بالحطام .

اكسر باب الحمام

في عام ١٩٤٧ ، كان ابراهام أيزر ، من مدينة نيويورك ، ضيفاً على مائدة العشاء ، لدى السيد كليفوردماك وزوجته ، بمنزلهما ٥٦ وست ، شارع ٥٤ ، نيويورك . كان السيد ماك في ذلك الوقت يعمل في حقل نشر المجلات . بعد العشاء ، جلس السيد ماك مع السيد أيزر في حجرة المعيشة ، يتجاذبان أطراف الحديث حول العمل . أما الزوجة ، فبعد أن قدمت لهما النبيذ ، استأذنت منهما لكي تأخذ حماماً .

بعد ثلث ساعة من الحديث بين الرجلين ، ساد السيد أيزر شعور غالب بأن شيئاً سيئاً يحدث للسيدة ماك ، فقفز على قدميه وهو يصيح « فلنكسر باب الحمام . هيا . فلنكسره حالاً » .

فزع السيد ماك ، واندهش للحالة التي أصابت صديقه . هل فقد

عقله ؟ ! . لكن أيزر واصل إلحاحه على مالك ، طالباً منه الاسراع بكسر باب الحمام ، ثم صاح « إذا لم تفعل ذلك .. فسأستدعي الشرطة ! » .

نتيجة لهذا الإلحاح الشديد والغريب ، لم يجد مالك مناصاً من أن يقود صديقه إلى الحمام ، ليبرهن له على أنه لا معنى لكل هذه الاثارة ، وكل هذه الضوضاء التي يثيرها . نادى مالك على زوجته من خلف باب الحمام المغلق ، لكنه لم يحظ بإجابة ، نادى مرة ثانية ، ولكن بدون جدوى .

هنا فقط انتقل قلق واضطراب أيزر إلى مالك ، وكان أيزر يقف خلفه يصيح طالباً منه كسر الباب . أخذ مالك يضرب الشق الأسفل من الباب ، حتى استطاع أن يفتحه ، ليجد زوجته مغمى عليها في البانيو ، ووجهها مغمور في الماء . حملها مالك إلى حجرة النوم ، وأخذ يقوم بالإسعافات الأولية ، حتى عادت إليها أنفاسها .

شفيت السيدة مالك من آثار ذلك الحادث ، وما زالت تعيش إلى اليوم في صحة جيدة ، وكل ذلك بفضل إحساس غامض غريب ، شعر به صديق العائلة ، السيد ابراهام أيزر .

فأر المسك

من التجارب التي أجريت لدراسة ظاهرة التخاطر بين البشر ، ثبت أن الشخص مصدر الرسالة التخاطرية ، تقوى لديه هذه القدرة بصفة خاصة ، عندما يكون متأزماً ، وعندما يكون لديه إحساس قوي بالخطر ، ولا تكون لديه وسيلة لمواجهة ذلك الخطر ، أو تفاديه .

وهذا ينطبق على ما جرى لرجل يدعى فريد تراستي ، يقيم في ٩٦

ريفرسيد دريف ، في بنسيلفانيا ، بالقرب من كليفلاند .

عند نهاية عام ١٩٥٨ ، كان فريد في الثلاثين من عمره ، ينشغل ببناء بضع درجات في التل الذي يرتفع خلف داره . ولسبب لا يدريه ، وجد نفسه يسقط ما بيديه من أدوات ، ويسرع إلى بركة ماء بالقرب من منزله . لم يلفت نظره أكثر من تموج سطح بركة الماء الساكن ، بفضل حركة حيوان صغير يقطن شمال أمريكا ويسمى فأر المسك . لم يكن فيما رآه ما يشغله ، أو يجعله يترك العمل الذي كان ماضياً فيه . ففأر المسك من الحيوانات المنتشرة في تلك المنطقة ، يصادفه الإنسان كثيراً .

هم بالعودة مرة ثانية إلى عمله ، لكنه لم يستطع مقاومة رغبة قوية في التطلع مرة ثانية إلى سطح البركة . استجاب لهذا الإحساس ، وفي هذه المرة ، رأى بين التموجات التي يثيرها فأر المسك في صفحة الماء ، قبعة طفل صغير عائمة .

اقترب تراستي ، وخاض في البركة حتى اصطدم بطفل صغير يرقد عند قاع البركة ، فجذبه إلى سطحها . عندئذ ، اكتشف تراستي أنه يحمل ابنه الذي يبلغ من العمر سنتين ، والذي يدعى بول . أسرع تراستي يجري تنفساً صناعياً للطفل ، فدبت الحياة في جسده .

حدث ذلك ، رغم أن الوالد تراستي لم يسمع أي صرخة استنجاد ، بل إنه عندما اندفع إلى البركة تاركاً عمله ، لم يكن ذلك استجابة لإحساس بخطر واهم .. لقد انقاد في حركته استجابة لمجرد إحساس غامض لا تفسير له .. ذلك الإحساس الذي قاد إلى إنقاذ حياة ابنه .

شعار الارشيدوق

الإحساس الغامض الذي يلح على الإنسان ، هو في حقيقته رسالة تخاطرية ، لم تتضح تفاصيلها لدى المستقبل ، كما حدث للاسقف جوزيف دي لانيي ، أسقف مدينة جروسواردن . لقد عرف عن الأسقف ، أنه ينام نوماً عميقاً ، لكنه في ليلة ٢٧ يونيو عام ١٩١٤ ، أفاق من نومه ليغرق في قلق لا يقاوم .

حسم الأسقف أمره ، وانتقل إلى حجرة المكتبة ، وهيأ نفسه لتمضية باقي الليل في القراءة والاطلاع . وكانت الساعة تشير إلى تجاوز منتصف الليل ببضع دقائق . أضاء مصباح القراءة ، فلاحظ وجود ورقة صغيرة ذات إطار أسود إلى جوار قاعدة مصباح الإضاءة . كان متأكداً من أنه لم ير تلك الورقة في ذلك المكان من قبل . تناولها في يده ، وأخذ يتطلع فيها . وجد في أعلى هذه القصاصة رسماً يمثل شعار أرشيدوق كان قد تتلمذ على يديه منذ عدة سنوات .

وعندما قرأ الأسقف محتوى الرسالة ، ثار غضبه .. لماذا لم يخطره أحد بوصول هذه الرسالة من قبل ؟ .. لماذا وضعت هكذا بإهمال على المنضدة ، وعند قاعدة مصباح الإضاءة ، حيث كان من الممكن ألا يكتشفها إلا في صباح اليوم التالي ، لولا ما شعر به من قلق غريب هذه الليلة ؟ . أعاد الأسقف الورقة إلى مكانها على المنضدة ، حيث وجدها ، ودق الجرس عدة مرات يستدعي خادمه .

بعد دقائق ، أقبل الخادم مهرولاً إلى الحجرة . بدأ الأسقف يعنفه ويسأله في غضب عن سر هذه الرسالة التي أهمل إخباره بوصولها ، وعندما

أشار إلى الرسالة وهو يتحدث إلى الخادم ، لم يجد الورقة في مكانها ! .
بحث عنها في كل مكان بمساعدة الخادم ، ولكن دون جدوى .

صرف الأسقف خادمه ، وجلس يفكر فيما حدث . قال لنفسه : ربما أكون قد وقعت تحت تأثير نوع من الهلوسة . لكنه كان واثقاً أن مثل هذه الحالة لم تحدث له من قبل . لقد كان واثقاً أنه رأى الشعار الذي على الورقة ، تعرف عليه ، فقد كان شعار تلميذه السابق أرشيدوق فرديناند . وعلى سبيل تسجيل ما جرى ، قرر الأسقف لانيي أن يدون محتويات الرسالة التي كان قد قرأها على تلك القصاصة ، وقبل أن تضيع من ذاكرته .

على ورقة من أوراق مفكرته ، كتب الأسقف :

« نيافة الأسقف . أنا وزوجتي وقعنا ضحية جريمة سياسية . إننا نطمع في صلواتك . سراييفو . الساعة الرابعة من فجر يوم ٢٨ يونيو عام ١٩١٤» .

بعد عشر ساعات من تدوين الأسقف لهذه الرسالة ، أطلق الرصاص على الأرشيدوق فرديناند وزوجته في أحد شوارع مدينة سراييفو بيوغوسلافيا ، وتوفيا للتو .. وكانا أول ضحايا الحرب العالمية الأولى .

هنا أيضاً ، كان مرسل الرسالة التخاطرية في حالة تأزم نفسي ، بينما مستقبل الرسالة في حالة استرخاء نفسي .

آلام الساق اليمنى

والرسالة التخاطرية قد تتجسد في بعض الأحيان في شكل إحساس جسدي عضوي ، كما تروي الواقعة التالية :

كانت الفتاة الصغيرة في التاسعة من عمرها ، وكانت لها صديقة حميمة ، تقطن المنزل المجاور لمنزلها . وكانت الصديقتان تتلازمان في كل أنشطتهما ، إلى حد أن الكثير من الناس كانوا يعتقدون أن الفتاتين أختان . سافرت الصديقة أثناء أشهر العطلة الصيفية الثلاثة إلى مزرعة في ويومنج ، بعد أن ودعت فتاتنا وداعاً حاراً .

ذات يوم ، كانت فتاتنا تمشي عبر غرفة المعيشة في بيتها ، عندما سقطت فجأة على الأرض تشهق وتبكي ، وهي تتألم من أوجاع تشعر بها في ساقها اليمنى . استدعت أمها الطبيب على عجل ، لكن ما أن وصل الطبيب حتى أعلنت الفتاة أنها لم تعد تشعر بأي ألم في ساقها ، وأنها أصبحت في أحسن حال .

أوشكت العطلة الصيفية على الانتهاء ، وعادت الصديقة من سفرها . وكان أول ما فعلته هو أن أسرعت للقاء فتاتنا . أثناء الحديث الذي كان يتضمن بلا شك روايات الصديقة عما مر بها في المزرعة التي كانت تعيش فيها ، قالت الصديقة إنها ذات يوم ، وبينما كانت تركب الحصان في المزرعة ، سقطت من فوقه ، فكسرت ساقها ، وشعرت بآلام فظيعة .

أخذت الفتاة تستفسر من صديقتها حول تفاصيل هذه الحادثة ، فاكتشفت من ذلك أن صديقتها كسرت ساقها ، في نفس اليوم والوقت الذي شعرت فيه هي بالألم في ساقها ، بل إن موضع الألم في ساقها اليمنى ، كان هو موضع الكسر في ساق الصديقة اليمنى !

برقية بالأزمة القلبية

نفس الشيء نراه في واقعة أخرى كادت تودي بحياة رجل وابنه .. فالرسائل التخاطرية لا تكون دائماً خيراً ونعمة .

كان الصبي الصغير يجلس إلى جوار والده الذي كان يقود السيارة ، يحاول أن يصل إلى مدرسة الابن في الموعد المحدد لبدء اليوم الدراسي .

فجأة ، لاحظ الصبي أن والده قد انكفأ على عجلة القيادة ، كما لو كان قد غرق في سبات عميق . انحرفت السيارة ، واندفعت إلى خارج الطريق ، وكادت حركتها هذه تودي بحياة الأب والابن ، لولا أن الرجل أفاق سريعاً مما ألم به ، وأعاد السيارة مرة ثانية إلى الطريق ، وهو في غاية العجب مما حدث له أثناء هذه اللحظات القصيرة التي غاب فيها عن الوعي ..

فيما بعد ، اكتشف الوالد ، أن أخاً له ، عم الصبي ، مات نتيجة لأزمة قلبية فوق عجلة قيادة سيارته ، في مدينة بعيدة ، ولكن في نفس اليوم ، ونفس الوقت ، الذي جرت له فيه تلك الحالة القصيرة جداً ، والغريبة جداً !

التليفون أسهل

كان أحد الباحثين الذين تخصصوا في دراسة ظاهرة التخاطر ، يبحث في مدى ممارسة الشعوب البدائية لهذه الظاهرة ، فهناك نظرية سائدة تقول إن الانسان ، في مرحلة قديمة من مراحل تطوره ، كان يمارس الاتصال التخاطري ، كوسيلة طبيعية للاتصال بغيره ، وأن هذه القدرة

أخذت تضعف عند الانسان مع خطوات تطوره الحضاري .

أخذ ذلك الباحث يسأل أفراد ذلك المجتمع البدائي عن تجاربهم في الاتصال التخاطري ، إلى أن التقى بامرأة عجوز أخذت تؤكد له أن الاتصال التخاطري كان هو الوسيلة التي تعتمد عليها عندما يمضي زوجها بعيداً في رحلات الصيد .

سأل الباحث تلك السيدة العجوز «ولماذا لا تمارسين اليوم ذلك الاتصال التخاطري عند الرغبة في ابلاغ رسالة ما ؟» ضحكت السيدة العجوز وقالت له «ولماذا أعتمد على التخاطر ، وعندنا جهاز التليفون الذي يغني عنه ؟»

أضـــواء .. ونـــيران

من أنحاء العالم ، ترد الروايات والوقائع ، عن ظواهر طبيعية عجيبة .. الأضواء الأشباح ، وكرات النار ، وقطارات الضوء التي تسبح في السماء. ظواهر بعضها فريد في نوعه وبعضها متكرر ، تعدد شهوده ، وتباين مستواهم العلمي والثقافي . ومع كل هذا ، فما زالت أغلب هذه الظواهر بلا تفسير ، وعندما يتقدم البعض لتفسير جانب منها ، فان هذه التفسيرات تجيء متعجلة ، لا تقنع أحداً ، أو تتناقض بوضوح مع عناصر الظاهرة وظروفها الثابتة .

الضوء الشبح !

من أكثر الظواهر تكراراً ، ما يطلق عليه « الأضواء الأشباح » وخير مثال لهذه الظاهرة ، ما جرى بالولايات المتحدة الأمريكية ، في ولاية نورث كارولينا ، وبالتحديد في منطقة تعرف باسم الجبل البني ، لقد تابع أهل هذه المنطقة ظاهرة الأضواء الأشباح على مدى ١٥٠ سنة تقريباً ، وفي بعض الأحيان من مسافة قريبة . وتوصف هذه الظاهرة بأنها أجسام من الضوء يميل لونها في بعض الأحيان إلى الاصفرار وفي أحيان أخرى إلى القرنظي ، تظهر في النصف العلوي للجبل . وأولئك الذين رأوا هذه

الظاهرة عن قرب ، يقولون إن الأضواء تصدر أزيزاً . بعض العلماء الذين شاهدوا الظاهرة ، قالوا إنها ظاهرة طبيعية لا تزيد على كونها انعكاساً للضوء الأمامي العالي للسيارات ، فإذا صح هذا التفسير بالنسبة للزمن الراهن ، فهو لا ينسحب على الأزمان السابقة ، منذ مائة سنة ، قبل أن تظهر السيارات في تلك المنطقة .

وتكتسب منطقة هورنت بولاية ميسوري صيتاً ذائعاً ، كموطن دائم لتلك الأضواء الشبحية . ولقد لوحظت لأول مرة حوالى عام ١٩٠١ ، والأضواء التي تظهر في هذه المنطقة تكون عبارة عن كرات برتقالية ، تتقافز في المنطقة خلال الليالي الصيفية ، عاماً بعد عام . ولقد تم تصوير هذه الأضواء عدة مرات ، باستخدام أفلام حديثة سريعة ، وكانت نتيجة الصور ، بقعاً من الضوء ، لا تساعد على تفسير الظاهرة ، وان كانت تثبت أن رؤية هذه الأضواء ليست ضرباً من الوهم والتخيل .

وأضواء هذه المنطقة تظهر على نفس الامتداد ، عند نفس الطريق ، على بعد ميل وربع غرب خط حدود ولاية ميسوري . والطريق المفروش بالحصى ، يمتد بين صفين من أشجار البلوط الكثيفة القصيرة . في الليالي المظلمة ، يبدو المكان وكأنه مليء بالأشباح ، ثم تجيء هذه الأضواء لتضاعف ذلك الإحساس .

وبينما يتباين العرض الذي تقدمه هذه الأضواء من ليلة لأخرى ، إلا أنها بشكل عام تظهر فجأة فوق الطريق ، على ارتفاع يتراوح بين أربعة وعشرة أقدام ، مجرد كرة بيضاء من الضوء ، في حجم كرة البيسبول . وفي بعض الأحيان يندفع الضوء في الطريق بسرعة الرصاصة ،

عند ذلك يتغير لونه من الأبيض إلى الأصفر إلى البرتقالي ، ثم يتوقف فجأة ، كما لو كان قد اصطدم بحائط . ويبدو أن ذلك الضوء لا يستريح للبشر أو العربات التي تقترب منه ، فهو يتحرك مبتعداً ، ثم يختفي ، ليظهر بعد لحظات على بعد مئات الأقدام .

وفي عام ١٩٦٢ ، حاول بعض الأشخاص أن يحيطوا بالضوء عندما يقفز وسط الطريق ويصنعوا حلقة من حوله ، وذلك حتى يتبينوا إذا ما كان الضوء ليس إلا مجرد انعكاس لضوء سيارات بعيدة . لكن نتيجة هذه المحاولة أثبتت أن الضوء يرى من جميع النواحي بنفس الشكل . وعندما حاول أحد الذين يصنعون الحلقة ، أن يقترب من الضوء اختفى الضوء عندما أصبح ذلك الشخص على بعد حوالى ٢٠ قدماً منه ثم التمع مرة ثانية بشكل مثير بعد عدة ثوان في حقل قريب .

وخلال الحرب العالمية الثانية ، أرسل سلاح المهندسين بالجيش الأمريكي بعض رجاله ، مع أجهزتهم وآلاتهم ، إلى مسرح هذه الظاهرة العجيبة في هورنت . وقد استعمل هؤلاء الرجال التليسكوب وآلات التصوير ، وأجهزة قياس الاشعاع بالإضافة إلى العديد من الأجهزة الأخرى . قاموا بفحص الكهوف ومصادر المياه ، ومستودعات المعادن في تلك المنطقة . فلم يصلوا إلى شيء جديد ، بخلاف رؤيتهم لهذه الأضواء التي تنطلق فجأة ، وتتحرك بشكل غريب ، منذ أيام الهنود الحمر .

روح زعيم الأباش

وفي ولاية لويزيانا ، لوحظت مثل هذه الأضواء في أبريل ١٩٥١ ،

على امتداد خمسة أميال في طريق بين جونز اليس وجالفيز . وكان من بين الجماهير التي شهدت هذه الكرات الضوئية بشكل واضح جداً فوق قمم الأشجار القريبة ، العمدة هيكلي واجسالك . وكما حدث في مناطق أخرى كانت أضواء جونز اليس تتلاشى عندما يقترب منها أي شخص لمسافة معينة ، ثم تظهر بعد ذلك مرة ثانية على مسافة ، محسوبة لا تسمح لأحد بالاقتراب منها .

وفي ٥ مارس ١٩٥١ ، لاحظ سكان سوفولك كونتي ، بولاية فرجينيا ، تلك الزيارات الليلية للكرات الضوئية البيضاء التي تحوم فوق طريق السفر السريع ، بارتفاع خمسة أقدام عن الأرض ، وبصفة خاصة فوق طريق جاكسون . ويقول المسنون من سكان تلك المنطقة إن هذه الأضواء ليست شيئاً مستحدثاً ، فقد عرفوها ، وعرفها أباؤهم . قال الرقيب ديمارون ، أحد قوات شرطة ولاية فرجينيا ، والذي تولى تحقيق الظاهرة ، قال إن الأضواء كانت شديدة الاستضاءة ، وبدت أشبه بالأضواء الأمامية لقطار سكة حديد ، يندفع على الطريق وقد أيده في هذا السيد هويلي ، أحد المسؤولين في شركة خطوط السكة الحديد الغربية .

وكل من راقب هذه الأضواء باستخدام النظارة المعظمة ، أو التليسكوبات ، يقول انها كرة الضوء هذه تبدأ ظهورها كنقطة ، ثم تكبر وتتسع لتصبح كرة من الضوء اللامع ، وفي أحيان أخرى تتحول إلى كرتين من الضوء ، وأن هذه الكرات يكون لها ضوء أبيض متوهج ، يصل في قوته إلى الضوء الأمامي لقطار سكة حديد . وفي بعض الأحيان تختفي فجأة ، ولكنها في أغلب الأحيان تأخذ في الانكماش ، وهي

تنبض قبل أن تختفي .

وقد عرف الهنود الحمر هذه الأضواء منذ ٨٠ سنة ، وقد تصوروا أنها روح زعيم الأباش ، التي حكم عليها بأن تجوب الجبال إلى أبد الآبدين . وبالطبع ، في أعقاب النشر عن هذه الظاهرة ، تبرع بعض العلماء بالتفسير ، قال البعض إن مصدر الأضواء هو الغازات الصادرة عن المستنقعات (وهل توجد مستنقعات عند قمم الجبال ؟) ، أو انها تصدر عن مستودعات يورانيوم مشع تحت الأرض (وكيف لم تكتشف أجهزة جيجر لقياس الاشعاع أي أثر لليورانيوم في المنطقة ؟) . أو انها انعكاسات لضوء القمر على عنصر ميكا يغلب على التربة (وماذا عن الليالي التي لا يظهر فيها القمر ؟) . وهكذا بقيت الظاهرة بلا تفسير .

كرات النار

ومن كرات الضوء ، ننتقل إلى كرات النار . ومشاهدات كرات النار ، أو كرات البرق ، لا حصر لها منذ زمن بعيد . ومن الناحية النظرية ، لا يستطيع البرق أن يشكل نفسه على صورة كرات متوهجة ، تتراقص وتتقافز ، كما تفعل البالونات المملوءة بالغاز ، لكن شهادات آلاف الشهود الموثوق بهم ، تؤكد أن هذه النظرية لا تتفق مع واقع الأمر .

دافيد دييز ، المحرر العلمي لصحف « سكربس – هيوارد » ، يصف بعض الوقائع التي حدثت في مطلع عام ١٩٦٢ ، من بين هذه الوقائع ، ما جرى في مدرسة للبنات خلال عاصفة رعدية . خلال العاصفة دخلت عبر نافذة الفصل الدراسي ، خلف منصة المدرس ، كرة لامعة متوهجة

يصل قطرها إلى قدم . صعدت الكرة ببطء إلى أعلى فوق رؤوس البنات المرعوبات ، وظلت معلقة في مكانها لعدة ثوان ، ثم تبددت .

ويحكي ديز عن واقعة أخرى جرت في لونج أيلاند ، فقد دخلت كرة نار في حجم كرة السلة ، من خلال نافذة مفتوحة ، وتدحرجت ببطء عبر الأرض ، بين زوج وزوجته ، كانا يشاهدان التليفزيون ، ثم زحفت كرة النار إلى الصالة عبر باب مفتوح ، وتلاشت دون أن تصدر صوتاً .

وذات ليلة في ربيع عام ١٩٥٣ ، كان السيد فريد بلومنتال وزوجته ، من مدينة ستوزكورت بولاية واشنطن ، يستقبلان ضيفاً على العشاء ، وفي الخارج كانت العاصفة الرعدية في أوجها . عندما ارتفع صوت أزيز ليغطي على صوت حديثهم . كان يبدو أن مصدر الأزيز ناحية باب الشرفة ، الذي يقود إلى الساحة الخارجية للبيت . وبينما الثلاثة ينظرون ناحية ذلك الباب المغلق ، ظهرت نقطة ضوء عند ثقب مفتاح الباب ، ثم تحولت إلى قضيب من النور ، في حجم القلم الرصاص . وفي ظرف عدة ثوان ، تحول ذلك القضيب إلى كرة من نار ، يبلغ قطرها حوالى عشر بوصات . حامت الكرة بالقرب من الباب لعدة ثوان ، وهي ما زالت تصدر أزيزها المزعج ، ثم اندفعت فوق رؤوسهم ، لتصطدم متفجرة بالحائط الحجري للمدفأة ، بفرقعة هزت البيت ، تاركة علامة سوداء في حجم العملة المعدنية .

الروايات والوقائع كثيرة ، وكلها تؤكد حدوث ظاهرة كرات النار ، لكن كيف ، ولماذا ؟ لا أحد يعرف .

قطار الأضواء في السماء

والأضواء الغريبة لا تأتي دائماً فرادى .. وخير مثل على ذلك ظاهرة قطار الأضواء ، التي كان أول من لاحظها الفلاحان ألمر سوينسون وجورج أبلي ، اللذان يعيشان بالقرب من استرهازي ، في الجنوب الغربي لمنطقة ماسكاتشوان بكندا . كانا قد انتهيا من يوم عمل شاق في قطع الأخشاب ، وتهيّآ للانصراف ، عندما شاهدا الظاهرة الغريبة . كان الوقت قد تجاوز بقليل التاسعة من مساء ليلة ٩ فبراير ١٩١٣ .

شاهد سوينسون طابوراً من الأجسام المتوهجة ، قادماً عبر السماء المظلمة ، من ناحية الشمال الغربي . صاح منادياً زميله أبلي ، ووقف الرجلان وقد فغر كل منهما فاه من فرط الدهشة ، يتابعان ما يحدث . أقبل عليهما طابور من أربعة أضواء متوهجة ، يتبعه بعد فترة ، طابور آخر من ثلاثة أضواء ، ثم طابور ثالث من ضوئين فقط .

ببطء ، وعظمة ، عبر ذلك الموكب سماء ساسكاتشوان ، وقد سمع له صوت متميز . وكانت تلك الواقعة هي البداية ، فقد تلاحقت المشاهدات بعد ذلك .

ولحسن حظ هذين الفلاحين ، أنهما لم يكونا الشاهدين الوحيدين على هذه الظاهرة ، فقد شاهدها أيضاً اثنان من علماء الفلك المرموقين ، أحدهما كان الأستاذ س . أ . تشانت من جامعة تورنتو ، والذي قام بدراسة مكثفة لكرات النار ، فسميت باسمه « نيازك تشانت » . كتب الأستاذ تشانت يقول :

« في تمام التاسعة وخمس دقائق ، من تلك الليلة التي أتحدث عنها ،

ظهر في السماء ناحية الشمال الغربي ، جسم أحمر ناري ، بدأ يكبر كلما اقترب ، وقد ظهر له عندئذ ذيل طويل . كان الوهج الصادر من الجسم والذيل ، يبدو وكأنه صاروخ . لكن ذلك الصاروخ لم يكن يهبط إلى الأرض بفعل الجاذبية كما هي العادة ، بل كان يتجول مندفعاً إلى الأمام في اتجاه دقيق ، يوازي سطح الأرض .. مضى ذلك الشيء نحو الجنوب الشرقي ، ثم اختفى » ..

ويواصل الأستاذ تشانت ، فيقول في تقريره « قبل أن تزول الاثارة التي خلقها النيزك الأول ، ظهرت أجسام أخرى قادمة من ناحية الشمال الغربي ، صادرة من نفس المنبع ، وكانت تتحرك بنفس السرعة متتابعة في طابور ، اثنان ، فثلاثة ، فأربعة ، مع ذيول تسبح خلف كل جسم . وكانت هذه الذيول تصل إلى توهج أو طول ذيل الجسم الأول . انطلقت هذه الأجسام في نفس المسار ، لتختفي عند نفس النقطة في اتجاه الجنوب الشرقي من السماء » .

« وبمجرد اختفاء هذه الأجسام ، أو قبل اختفائها بقليل ، ساد المكان صوت هدير متميز ، أشبه بالرعد البعيد ، أو بصوت اندفاع قطار سريع فوق كوبري . وفي نواح أخرى سمعت ثلاث دفعات من ذلك الصوت ، تتتابع في فترات منتظمة ، بينما شعر عدد من الناس باهتزاز الأرض والمنازل . ولا يمكن تحديد المدى الزمني للظاهرة كلها بشكل دقيق ، ولكنها ربما تكون قد تجاوزت الدقائق الثلاث بقليل » .

أما العالم الآخر الذي شارك الأستاذ تشانت في مراقبة الظاهرة ، وهو الأستاذ دينينج ، فقد كتب في مجلة الجمعية الفلكية الملكية بكندا ، يقول

إنه خلال عمر يصل إلى ٤٨ سنة من رصد السماء ، لم يحدث أن صادف شيئاً كهذا » .. أن الأمر كان أشبه بقطار سريع ، يضيء في السماء خلال الليل .. الأنوار على أبعاد مختلفة .. واحد في المقدمة بذيل من الضوء ، ثم مجموعات من الأضواء المتتابعة » .

وعند تجميع وقائع المشاهدة من أنحاء العالم ، ثبت أن هذه الأضواء لم تظهر في أفريقيا ، وهي كذلك لم تظهر في أقصى غرب الولايات المتحدة الأمريكية ، مما يرجح أنها قدمت من الفضاء الخارجي فوق كندا ، ثم عادت إلى الفضاء مرة ثانية جنوب المحيط الأطلنطي . وهذا يضعنا أمام احتمالين : إما أن هذه الأشياء كانت عبارة عن عناقيد من النيازك تتجول في فضاء الكرة الأرضية عبر مسار جزئي ، وإما أنها كانت أجساماً تخضع لتحكم عاقل ومقصود ، من مصدر غير معروف .

دعنا ننظر في الاحتمال الأول . جميع الذين رصدوا هذه الظاهرة من العلماء ، بمن في ذلك تشانت ودينيج ، قرروا أن الموكب كان يتركب من سلسلة أضواء . وكان يتحرك في السماء كوحدة مترابطة ، كلما اختفت مجموعة عند الجنوب الشرقي ، ظهرت المجموعة الثانية عند موقع ظهور الأولى في الشمال الغربي . هذه الحقائق تتناقض مع احتمال كون هذه الأشياء أجساماً طبيعية ، تندفع في الفضاء ، وتحتك بالجو الجاذبي للكرة الأرضية ، في تماس لتمضي بعد ذلك في مسارها .

وهناك نقطة أخرى ، تتعارض مع الاحتمال الأول ، وهي أن هذه الأشياء كانت تتحرك بسرعة منخفضة ، الأمر الذي علق عليه كل الملاحظين . وهذه السرعة المنخفضة ، لا تكفي لهروب هذه الأشياء من

نطاق الجاذبية الأرضية ، بعد أن عبرت إليه . والدليل على أن هذه الأجسام قد عبرت الجو الجاذبي للأرض ، هو ذلك الصوت الذي كانت تحدثه في عبورها ، فلو أنها كانت خارج الغلاف الجوي للأرض ، لما سمعت لها أي أصوات .. هذا بالإضافة إلى وجود ذلك الذيل الناري .

التفسير الأبسط ، والذي يتفق مع جميع الحقائق التي تجمعت حول هذه الظاهرة ، هو أن هذه الأشياء كانت خاضعة لتحكم ذكي . وبالطبع ، كان اقتراح مثل هذا التفسير عام ١٩١٣ شيئاً صعباً حقاً ، كانت هناك بعض الوقائع الغريبة القليلة السابقة لذلك الزمن ، والتي تشير إلى زيارات تقوم بها سفن فضاء قادمة من خارج المجال الأرضي ، كما أن فكرة وجود حياة على كواكب أخرى غير الأرض ، كانت تجد من يتبناها ويقول بها .. ومع ذلك ، لم يكن إعلان مثل هذا التفسير ، في ذلك الوقت ، أمراً سهلاً على العلماء .

على كل حال ، لقد أعطى الأستاذ تشانت لهذه الظاهرة حظاً وافراً من تأملاته ، وقال في مذكراته إن تلك الأشياء كانت تتحرك في تشكيل منضبط من الناحية الرياضية ، وأن النار المنبعثة من هذه الأشياء ، تشبه العادم الصادر عن الصواريخ ، أكثر مما تشبه ذيول النيازك ، التي كان خبيراً بها .

وقد علق شهود آخرون على ذلك التشكيل من الأجسام المضيئة ، ومن بينهم والتر ستيفنسون ، من منطقة فنلون فولز ، ٦٨ ميلاً شمال شرق تورنتو . ولاحظ أن المجموعة الأولى كانت تطير بتشكيل من ثلاثة أجسام في البداية ، ثم المجموعة الثانية والثالثة ، وكانت كل واحدة منهما تتكون

من جسمين .. وقال « إن التشكيل الثالث كان متبوعاً بعد زمن قصير بجسم له ضوء أبيض « يتميز » بنفس بريق كوكب الزهرة » .

في اليوم التالي لهذه الظاهرة المحيرة ، بدت ظاهرة جديدة ، قالت عنها جريدة نجمة تورنتو انها جرت في وضح نهار ذلك اليوم ، شاهدها العديد من الأشخاص ، وتكونت من مجموعة من الأجسام الصلبة المعتمة تطير على ارتفاع عال فوق المدينة . وكانت تمر من الغرب إلى الشرق ، على ارتفاع كبير جداً ، في ثلاث مجموعات . ثم عادت هذه الأجسام إلى الغرب ، وقد فقد تشكيلها ذلك التنظيم الذي أقبلت به ، وكان مجموع الأجسام سبعة أو ثمانية ! ! فهل يا ترى كانت هذه الأجسام هي التي تعكس أو تشع الأنوار في اليوم السابق ؟ إذا صدق هذا فهي ليست بالتأكيد من النيازك .

إن ما حدث عام ١٩١٣ ، كان من الصعب تفسيره في ذلك الحين بأنه مظهر من مظاهر الزيارات التي تقوم بها حضارات بعيدة ، لكوكب الأرض . لكن الآن بعد أن تجمعت الوقائع حول مثل هذه الزيارات ، وتمت دراستها ، فإنه من السهل القول بأن تلك الأجسام المضيئة ، كانت قادمة من كوكب بعيد ، وقامت بزيارة خاطفة ، لتلقي نظرة سريعة على رقعة من سطح الكرة الأرضية .

أعجب الأمطار

الأمطار في حد ذاتها ظاهرة جوية طبيعية ، قد تهطل بكثافة فتحدث السيول المدمرة ، وقد تحتجب فتسبب القحط والجفاف .. لكن الأمطار التي سنتحدث عنها هنا ، تتجاوز غرابتها هذه الحدود .. أمطار عجيبة ذات ألوان ، تسقط على رؤوس البشر ، ومعها تسقط الطيور ، والاسماك ، والحشرات والتماسيح الصغيرة .

الطيور المختالة

في منتصف أكتوبر من عام ١٨٤٦ ، تعرضت قطاعات من فرنسا لظاهرة الأمطار الحمراء ، التي تختلط بالطيور ، بعضها ميت وبعضها نصف ميت . أما كيف اصطبغت الأمطار باللون الأحمر . فهذا ما لم يعط العلماء تفسيراً واضحاً له . ومع ذلك فقد كانت المشكلة الحقيقية التي تنتظر تفسيرهم ، مسألة الطيور التي تساقطت بكثافة مع الأمطار الحمراء .

مئات وربما الألوف ، من الطيور الممزقة والملوثة سمان وقنابر ، وأبو الحن ، وبط ، ودجاج الماء . وكان سبب موت معظم الطيور ارتطامها بالأرض عند السقوط ، أما القليل من هذه الطيور فقد كانت به بقية من

حياة ، ولكن هذه أيضاً ماتت بعد عدة ساعات . عندما انتهى علماء ليون وجرينوبل من دراسة الطيور الميتة ، لم يزيدوا على قولهم « إنها من أعجب الظواهر » ! !

هذه الواقعة لم تكن الوحيدة في نوعها . ففي يوليو ١٨٩٦ شهدت مدينة باتون روج بلويزيانا نفس الظاهرة ، ولكن بدون أمطار . ففي يوم صحو ، عقدت الدهشة ألسنة سكان المدينة عندما فوجئوا بالسماء تمطر عليهم مختلف الأنواع من الطيور الميتة .. نقار الخشب ، وطائر الدج أو السمنة ، والشحرور ، والبط البري . ومن قاموا بدراسة الطيور التي سقطت من السماء ، قالوا إن من بينها أنواعاً يندر وجودها في هذه المنطقة مثل طائر الكناري ، والبعض الآخر من الأنواع غير معروف بتاتاً .

الأعجب من هذا ، ما حدث لأحد رجال الشرطة بمدينة كابيتولا ، بولاية كاليفورنيا ، ذات ليلة دافئة من شهر أغسطس ١٩٦٠ . كان ضابط الشرطة أد كانتجمام يقود سيارة دورية الشرطة ، في دورة تفتيش روتينية عبر شوارع المدينة ، حوالى الثانية والنصف ، من بعد منتصف الليل . فجأة ، رأى شيئاً يلمع في ضوء كشافات السيارة ، وهو يسقط على بعد مائة قدم من السيارة أخذ الضابط يتساءل : هل عمد أحدهم إلى إلقاء أشياء على سيارته ؟ وقبل أن يمضي في تساؤله هذا ، توالى سقوط هذه الأشياء مرة ثانية ، وثالثة ، ورابعة ... استطاع كانتجهام آخر الأمر أن يفهم كنه هذه الأشياء المتساقطة .. إنها طيور ! . أوقف سيارته ، وهم بالخروج منها لاستجلاء حقيقة الأمر ، لكنه عاد ورجع عن قراره .

قال الضابط كانتجهام عن ذلك « عندما وقفت السيارة ، كانت

الطيور تتساقط كالمطر في كل مكان حولي ... طيور كبيرة ، تسقط باندفاع شديد ، مما جعلني أخاف أن أخرج فيصيبني أحدها .. لذلك فكرت في أن أبقى في السيارة ، وذلك هو ما حدث .. » .

عندما خفت كثافة الطيور المتساقطة ، واصل الضابط جولته من كابيتولا ، إلى كليفسيد ، ثم إلى وست كليف دريف ، لمسافة تزيد على خمسة أميال ، بامتداد الطريق الساحلي العريض ... فوجد الطريق ، والشاطىء ، وجوانب الطريق ، وقد تغطت جميعاً بأعداد كبيرة جداً من الطيور الميتة .

صباح اليوم التالي ، فوجئ سكان المنطقة بما حدث أثناء الليل . خطوط أسلاك الضغط الكهربائي العالي قد تزينت بالطيور الميتة المعلقة عليها . الطيور الميتة في كل مكان ، معلقة فوق هوائيات التليفزيون ، فوق الأسوار والأعمدة ، ومنثورة على الأرض وقد تهشمت نتيجة لسقوطها . تبين بعد ذلك أن هذه الطيور من النوع المعروف باسم « سوتي شيرنيج » ومعناها « المختال الهابط » ، وهي من أنواع طائر النورس المائي . كانت المسافة بين طرفي جناح الطائر ٣٠ بوصة ، وطول جسمه حوالى قدم ونصف . وهذه الطيور تحلق عادة فوق مياه المحيط الباسفيكي ، متخذة لها أعشاشاً برية ، في منطقة القارة الاسترالية ، والشاطئ اليابانى ، والشاطئ الغربي للقارة الأمريكية .

قدرت السلطات عدد الطيور الميتة حول كابيتولا بأربعة آلاف طائر ، أما عدد الطيور التي وصلت إلى الأرض سليمة فقد قدر بألفي طائر ، لكنها لم تكن بحالة تسمح لها بالطيران . وقد ظهرت العديد من النظريات

في تفسير هذه المذبحة الجماعية للطيور المختالة الهابطة . أرجع البعض السبب إلى سوء التغذية ، أو إلى زيغ البصر الذي سببته أضواء المدينة ، أو إلى مرض نادر لم ينجح أحد في التعرف عليه . لكن اختبار الطيور الميتة لم يرجح أيا من الفروض السابقة .

الثابت أن هذه الطيور قد ماتت عند ارتطامها بالأرض .. لكن لماذا ارتطمت بالأرض ؟ لا أحد يعرف .

تمساح وأسماك !

الواقعة الأعجب ، حدثت في دلاس بولاية تكساس . كان ذلك في ١٨ يونيو ١٩٥٨ ، عندما شاهدت الفتاتان مارتا بروملي « ٩ سنوات » وبربارة وليامز « ١٠ سنوات » ، سمكة صغيرة تسقط من السماء .. ثم بدأ تساقط الأسماك حولهما ، وبلغ عدد السمك أكثر من أربعين سمكة . كان طول السمكة يتراوح بين ثلاث وأربع بوصات ، ولونها رمادي داكن تتخلله بقع حمراء مذهبة ، وذيلها أحمر .

وجد مكتب التنبؤات الجوية بدلاس نفسه مضطراً لتقديم تفسير لهذه الظاهرة .. فقال إن هذه الأسماك لا بد قد جاءت محمولة من النهر بواسطة العاصفة الرعدية على الهواء ، حتى سقطت حيث سقطت . وبالطبع لم يقبل الناس هذا التفسير ، لم يقبلوا أن تكون للعاصفة الرعدية هذه المعرفة العلمية التي تجعلها تنتقي من بين أنواع السمك العديدة في النهر ، هذا النوع بالذات لتحمله .. كما أنهم لم يقبلوا فكرة أن تظل الأسماك حية محمولة لهذه المسافة الطويلة ، فوق رياح العاصفة الرعدية .

في واقعة أخرى تالية لهذه لم يكن الذي تساقط من السماء سمكاً . صباح ١٢ يوليو ١٩٦١ كان فريق من عمال شركة كارتر للإنشاءات بلويزيانا يعمل في إنشاء المبنى رقم ٢٠٦٥ بشارع لوفر بمدينة شريفبورت . وقد وقف بعض النجارين يعملون على سطح المنزل ، عندما زحفت على المدينة سحابة داكنة ، ثم بدأت الأشياء تتساقط فوق رؤوسهم .. ثمار الخوخ ، ثمار خوخ خضراء في حجم كرة الجولف ، كانت تتساقط فوق ذلك المنزل ، والساحات المحيطة به .

ولما كانت فكرة سقوط واحدة من هذه الثمار اليابسة ، من ذلك الارتفاع الكبير ، على رأس أحد العمال ، ليست من الأفكار الطريفة ، فقد أسرع النجارون إلى الاختباء داخل المنزل ، إلى أن ينتهي ذلك المطر الغريب .. وهو بالفعل قد توقف بعد عدة دقائق . جمع النجارون حوالى ٢٥ ثمرة من الثمار التي تساقطت عليهم ، كما استطاعت جون جودوين التي تسكن البيت المجاور ، أن تلتقط أربع ثمار خوخ ، سقطت في ساحة بيتها .

لم يكن هناك احتمال أن تكون هذه الثمار قد ألقيت من منزل مجاور ، فذلك البيت كان يرتفع عن باقي البيوت المجاورة ، كما أن العمال قد شاهدوا الثمار وهي تسقط من ارتفاع كبير . ولم يبق سوى احتمال أن تكون قد حملتها رياح عاصفة . وعند الرجوع إلى مكتب التنبؤات الجوية ، أفاد أنه بامكان العاصفة أن تحمل أثقالاً تفوق وزن هذه الثمار ، لكن المكتب عاد وقرر أن الظروف الجوية في المنطقة تنفي حدوث أي عاصفة رعدية في نطاق واسع حول مدينة شريفبورت .

وهذا يقودنا إلى الواقعة الغريبة التي جرت في الساحة الخلفية بمنزل السيد ماريون تاكر ، في طريق كوينتزي ، لونج بيتش ، كاليفورنيا . كان السيد تاكر وزوجته قد عادا لتوهما من بيتهما الصيفي الذي قضيا به عطلتهما الصيفية عام ١٩٦٠ . سمعا صوت ارتطام جسم ثقيل بالأرض ، كما سمعا صيحة حيوانية تصدر من الساحة الخلفية لبيتهما . خرجا يجتليان حقيقة الأمر ، فوجدا في تلك الساحة ما أثار دهشتهما البالغة . وجدا تمساحاً أمريكياً من النوع الصغير المسمى « اليجينور » ، وكان طول ذلك التمساح خمسة أقدام ، ووزنه حوالى ٦٠ رطلاً .

ولما كان هذا النوع من التماسيح لا يعيش في تلك المنطقة الجافة ، فهذا يعني أنه قد قدم من مكان بعيد . ولما كانت التماسيح لا تسقط من السماء أبداً ، فقد بقي الزوجان وكل من شاهد التمساح ، في حيرة لعدة شهور ، دون أن يصل أحد إلى تفسير لتلك الواقعة .

ثلوج من الملح الناعم

على بعد عدة أميال من ولاية واشنطن ، تقع محكمة فير فاكس بولاية فرجينيا . وقد جاء في جريدة « ألكسندريا » انه في ديسمبر ١٨٥٥ ، تعرضت فير فاكس لمطر بارد سرعان ما تحول إلى جليد ، لكنه لم يكن جليداً عادياً . ففي صباح اليوم التالي ، خرج الناس ليجدوا كل شيء في المدينة ، وقد اكتسى بلون بنفسجي داكن . لقد غطت صفحة الجليد طبقة سميكة من أعداد لا تحصى من حشرات سوداء دقيقة ، أصغر في حجمها من رأس الدبوس .

وقد اكتشف سكان المنطقة أن تلك الحشرات ما زالت حية ، وإن كانت مخدرة نتيجة لانخفاض درجة الحرارة . ذلك لأنه عندما أدخلت بعض هذه الحشرات إلى البيوت ، وشعرت بالدفء ، أصبحت غاية في النشاط . وقد أعلن محرر جريدة ألكسندريا بصراحة أنه قد أصيب بحيرة كاملة ، وفشل في الوصول إلى تفسير لهذه الظاهرة .

وقد نشرت جريدة نيو أورليانز تايمز تقريراً غير عادي من لويزيانا . ففي مارس ١٨٦٧ ، أصبح لون الأرض الزراعية أبيض لامعاً ، من مصب النهر الأحمر إلى نقطة تبعد ٦٠ ميلاً ، وبشريط يتراوح عرضه بين ثلاثة وخمسة أميال .

كان الجو بارداً ، فظن السكان أن الجليد قد سقط على شكل مسحوق ، لكنهم ما لبثوا أن اكتشفوا أن ما ظنوه جليداً ، لم يكن سوى ملح أمطرته السماء . كان الملح جافاً وناعماً وعلى درجة عالية من النقاء . ولم يستطع أحد أن يعرف من أين أتى كل ذلك الملح ، وما الذي حمله إلى تلك الرقعة الواسعة .

بعد هذا بعدة سنوات ، في عام ١٨٨٠ اندفع عامل التلغراف بمدينة أوزارك ، بولاية أركانساس ، اندفع إلى جهاز الإرسال التلغرافي ، ينقل إلى زملائه في مكاتب التلغراف الأخرى ، أمر الحدث الغريب جداً ، والذي يجري حوله . آلاف الأحجار ، التي يصل وزن الواحد منها إلى رطلين كان يبدو أنها تتقافز من الأرض . بينما آلاف الحصى يتساقط من السماء ، ومع هذا فلم تحدث أي أضرار مادية نتيجة لهذه الظاهرة ، سوى الاثارة والقلق اللذين سادا كل سكان أوزارك ، والمناطق المحيطة بها .

ومن استراليا ونيوزيلندا ، جاءت خلال عامي ١٩٦٠ ، ١٩٦١ التقارير عن أمطار الأوحال . وقد عمد البعض إلى تفسيرها بأنها نتيجة التقاء عواصف ترابية بسحب ممطرة على ارتفاع كبير .

وفي ٢٦ مارس ١٩٤٨ ، اكتشف سكان دايتون بولاية أوهيو ، أنهم قد غرقوا في أمطار خضراء . فاصطبغت السيارات والمنازل والملابس والأرصفة باللون الأخضر . وعندما توقف المطر ، خفتت حدة اللون .

السحالي تملأ حديقة القاضي

وفي أغسطس عام ١٨٧٠ أسرع محرر جريدة سكرامنتو ريبورتر ينتقل من مكان إلى مكان يتابع الظاهرة الغريبة التي تتحدث عنها المدينة ، لقد أمطرت السماء كائنات حية تدعى سحالي الماء أخذت تتدفق من السماء على كل أنحاء المدينة . وقد عاد المحرر ليؤكد تثبته من الظاهرة ، وقال إن هذه الأحياء كان طولها يتراوح بين بوصتين وثماني بوصات ، وقد سقطت على أنحاء المدينة ، مع الأمطار .

وقد شاهد المحرر أكواماً من هذه الأحياء على سطح دار الأوبرا ، كما بدت الطرق والأرصفة زلقة تحت أقدام الناس نتيجة لانتشار هذه المخلوقات . وكان أحد الشخصيات المرموقة بالمدينة ، القاضي سبيسر قد كلف بعض العمال بحفر حفرة كبيرة مربعة في الساحة الخلفية لبيته ، تمهيداً لتجهيزها كمخزن . وبعد العاصفة وجد مئات من هذه السحالي في تلك الحفرة . وقد عاشت هذه السحالي لعدة أيام في الحفرة ، نتيجة للأمطار التي تجمعت فيها .

وفي شهر يوليو من عام ١٩٤٠ تلقى دكتور تروست أستاذ علم الكيمياء بجامعة ناشفيل ، لفافة من دكتور سايل العالم الطبيعي بمدينة لبنان ، بولاية تنيسي ، وكانت اللفافة تحتوي على أجزاء من أنسجة عضلية ، ومواد دهنية ، قال سايل إنها سقطت من السماء في مزرعته ، تحت ظروف غريبة .

جاء في رسالة دكتور سايل « .. ومن سحابة حمراء صغيرة إلى حد ما ، السحابة الوحيدة في السماء عند ذلك الوقت ، بين الساعة ١١ والساعة ١٢ ظهر الجمعة الماضي ، وعلى بعد خمسة أميال شرق مدينة لبنان ، سقط اللحم والدم والمواد الدهنية ، فوق مساحة يبلغ طولها حوالى نصف ميل ، وعرضها حوالى ٧٥ ياردة . سقطت هذه الأشياء على أوراق نبات الدخان ، وأخذ الدم يقطر منها إلى الأرض .. ! ! .

وقد قدر دكتور سايل الكمية التي سقطت من اللحم والدم ، بما يصل إلى عدة مئات من الأرطال ، وللأسف لم يصل إلينا رأى أستاذ الكيمياء ، الذي تلقى هذه العينات .

وقد أوردت الجرائد في ريتشموند بفرجينيا ، قصصاً لوقائع شبيهة عام ١٨٥٠ ، في مزرعة السيد باسيت بالقرب من كلوفرلي .

هنا أيضاً صاحب سقوط الأمطار والأجسام العضوية ، ظهور سحب حمراء صغيرة ، مرت فوق المزارع حوالى الرابعة عصراً ، وقد فوجئ تشارلز كلارك ، أحد عمال زراعة السيد باسيت وعمال الزراعة الذين معه ، بنقط دماء تسقط من السماء ، بالإضافة إلى شرائح من اللحم الطازج ، رفيعة جداً . لقد تمكن العمال من أن يميزوا بين هذه الشرائح ،

لحم عضلي ، وشرائح كبد ، وشرائح من أسفل القلب ، وان لم يعرفوا من قلب أي كائن حي أخذت . ومن المهم أن نشير هنا إلى أن العمال لم يلاحظوا وجود طيور في الجو قبل سقوط الأمطار أو بعدها .. فقط تلك السحب الحمراء ، التي ما أن مرت ، حتى توقفت الأمطار ، وتوقف سقوط هذه الأشياء .

وقد أشار محرر الجريدة أن مثل هذه الواقعة حدثت فوق مزارع سمسون كونتي ، نورث كارولينا ، في ١٥ فبراير من نفس العام ، ١٨٥٠ ، حيث سقطت الأمطار لتغطي مساحة تزيد على ٣٠ قدماً عرضاً ، ومائة قدم طولاً ، وكانت أمطاراً من دم ، وأجزاء من المخ ، وقطعاً من الأمعاء وأيضاً جاء في هذه الواقعة ذكر السحابات الحمراء .

هذه بعض وقائع الأمطار الغريبة التي تهبط من السماء ، وقائع لم يجد سوى القليل منها تفسيراً مقنعاً ، وبقي أغلبها كلغز لا نعرف له تفسيراً .

حـرائق عجيبة

حتى الحرائق لها وقائعها الغريبة ، التي تكشف عن ظواهر يصعب تفسيرها بما ألفه الناس واعتادوا عليه ، أو بما تحت أيديهم من علم . لقد حفلت سجلات مراكز الأطفاء بالعديد من الوقائع التي تضمنت نيراناً تنشب وتحرق ، دون مصدر واضح لها .. كما تضمنت نيراناً عجيبة ، تلتهم صفحات الكتاب الداخلية وتبقي على صفحاته الخارجية والغلاف . وحرائق تتخير نوعاً خاصاً من الملابس المنشورة على حبل الغسيل ، لتقضي عليه وتحيله إلى تراب ، تاركة غير ذلك من الملابس المغسولة ! .. وأغلب هذه الوقائع خضع للبحث والفحص والدراسة ، على يد مختصين في هذا المجال ، ومع هذا لم يصل أحد منهم إلى كشف سر هذه الحرائق الغامضة العجيبة .

حرائق انديانا

في عام ١٩٥١ ، قدمت شركة التأمين تقريرها عن الوقائع الغامضة ، بما فيها من حرائق عجيبة ، والتي تتابعت كالوباء في منزل السيد وليام هاكلو ، بالقرب من مدينة أوديون ، بولاية انديانا . يقول تقرير شركة التأمين إن النار شبت في حجرة بالدور العلوي من المنزل ، في الثامنة

صباحاً ، دون أن تتطرق إلى موقع آخر . ويظهر من تقرير شركة التأمين أن الكهرباء كانت مقطوعة عن المنزل ، ممّا يؤكد أن الحريق لا يرجع سببه إلى ماس كهربي .

نجحت فرقة الاطفاء بالمدينة في إخماد الحريق وقبل أن تصل عربة الاطفاء إلى مركز الاطفاء ، وصلت إشارة جديدة من السيد هاكلر ، يطلب الإسراع إلى نجدته . وكان مصدر الحريق هذه المرة ، طبقة من الأوراق ، بين زنبرك السرير والحشية التي فوقه ، بإحدى حجرات النوم .

بين الثامنة والحادية عشرة صباحاً ، اندلعت تسعة حرائق مختلفة المصادر في أنحاء البيت . من بينها اشتعال النار فجأة في تقويم حائط معلق على الجدار ، وتساقط رماد التقويم على الأرض . وخلف أحد الأبواب ، كان أحد أهل البيت قد علق ردائين من أردية العمل ، اشتعلت فيهما النار فجأة ، وأحالتهما إلى رماد ، دون أن تمتد إلى الباب وإلى غير ذلك من الأقمشة القريبة . وعندما تسرب الدخان من أحد الأدراج ، أسرع أهل البيت إلى فتح الدرج لمعرفة مصدر الدخان ، فوجدوا أن بداخله كتاباً ، تحترق بعض صفحاته الداخلية ، بينما بقيت صفحاته الأخرى وغلافه على حالها .

يقول تقرير شركة التأمين ، إنه في الحادية عشرة من مساء ذلك اليوم ، كان قد اشتعل في أنحاء ذلك البيت ٢٨ حريقاً . وقد اضطر فريق الاطفاء المنهك أن يستعين برجال وعربات الاطفاء التابعة لمدينة الينورا . أما عائلة السيد هاكلر فقد أرغمت نتيجة لهذا ، أن تنام على أسرة خفيفة متنقلة بالساحة الأمامية للبيت .

ومع تكرار حدوث هذه الحرائق العجيبة ، اضطر السيد هاكلر إلى هدم البيت بأكمله ، وإعادة بنائه من جديد ، حتى يتخلص من هذه الحرائق التي لا تفسير لها .

وقد علقت شركة التأمين على ما جرى بمنزل السيد وليام هاكلر قائلة « جميع الفروض المنطقية التي طرحت لتفسير هذه الظاهرة ، وجميع الاقتراحات التي طرحت لمواجهتها ، كانت كلها غير مقنعة . وبقيت هذه الواقعة ، لغزاً محيراً لا يجد له تفسيراً لدى المسؤولين في إدارة الاطفاء » .

حرائق ستائر النوافذ

نفس هذه الحيرة ، أصابت أيضاً رئيس مركز الإطفاء بمدينة جلينديف بولاية مونتانا ، الضابط جورج سميث ، في العاشر من يناير ١٩٥٨ . كانت زوجة السيد تشارلز كينج تقوم بأعمال التنظيف الأسبوعية في بيتها بمدينة جلينديف . بدا وكأن كل شيء يسير على ما يرام حتى دخلت السيدة إلى الحجرة الأمامية بالبيت حوالى الثامنة صباحاً . بمجرد دخول السيدة كينج إلى الحجرة ، اشتعلت النار في ستائر النافذة التي بها . أسرعت السيدة كينج تنتزع الستائر من مكانها ، وتضربها بقدميها في محاولة لإخمادها وكاحتياط ضروري ، أسرعت وفصلت جميع التوصيلات الكهربية بالحجرة ، فقد تصورت أن سبب الحريق هو ماس كهربائي في سلك من الأسلاك الممتدة بالحجرة .

بعد نصف ساعة حدث نفس الشيء في حجرة الطعام ، وهكذا ،

وجدت السيدة كينج نفسها مضطرة إلى استدعاء رجال فرقة الاطفاء ، التي أسرعت إلى إطفاء الحريق هذه المرة .

وبعد ظهر نفس اليوم ، كان العامل جاك شيرار يقوم ببعض الإصلاحات في نافذة من نوافذ بيت السيد كينج . كان العامل يقف خارج البيت منهمكاً في إصلاح النافذة ، عندما شاهد النار تشتعل في سلة مهملات بالحجرة التي تطل عليها هذه النافذة ، فأسرع يقفز إلى داخل الحجرة ، حيث قام بإخماد الحريق الذي شب في سلة المهملات .

وحتى الرابعة والنصف بعد ظهر ذلك اليوم ، كانت النار قد اشتعلت في أنحاء البيت ثلاث مرات .

بعد السادسة مساء بقليل ، كانت ابنتا السيد كينج الصغيرتين تشاهدان برامج التليفزيون ، عندما اشتمتا رائحة دخان ، فتحركتا على الفور للبحث عن مصدر هذا الدخان وبعد البحث اكتشفتا أن مصدره ستائر حجرة النوم الخاصة بهما .. لقد نشب الحريق الرابع في هذه الستائر . وعندما بلغت الأسرة عن الحريق الرابع ، قرر رئيس مركز الاطفاء ، الضابط جورج سميث أن الوقت قد حان لكي يتحرى الأمر بنفسه .

قام قائد فرقة الاطفاء بمراجعة أنحاء البيت مراجعة دقيقة ، وكشف عن كافة التوصيلات الكهربائية ، فلم يجد ما يفسر به غوامض ذلك اللغز . وقد ساهم أفراد عائلة كينج ، من جانبهم في اتخاذ كافة الاحتياطات الوقائية ، فقطعوا التيار عن البيت بأكمله ، ثم جمعوا كل الأشياء القابلة للاحتراق ، وأخرجوها إلى فناء البيت ، كما فتحوا جميع نوافذ البيت ، حتى يسمحوا بتهوية كاملة داخل البيت . وقد حرصوا على أن يتناوبوا

السهر طوال الليل ، بحيث يبقى أحدهم مستيقظاً ، لاخطار الباقين إذا ما شبت النار ثانية .

وظن الجميع أن الليلة ستكون هادئة ، بعد الحوادث المثيرة لذلك النهار ، لكن الفوضى ما لبثت أن عادت لتسود البيت طوال الأيام السبعة التالية ، وعادت النار تشتعل من جديد في مختلف أنحاء البيت . أحد هذه الحرائق ، شب في خزانة مغلقة بها بعض الملابس ، وآخر شب في بعض الملابس المخزونة في صوان مخصص للملابس التي لا تستعمل في ذلك الفصل من السنة . وحريق ثالث شب في الغطاء القماشي للمائدة . وأثناء المحاولات التي بذلت لاخماد هذه الحرائق ، احترقت كف ابنة السيد كينج المتزوجة ، كما فقد زوجها وعيه ، بعد أن حاصره الدخان المتصاعد من حريق آخر .

وقد اضطر قائد اطفاء المدينة إلى الاستعانة بقائد إدارة الاطفاء المركزية ، الذي قدم إلى المدينة ليرى جانباً من الحرائق العجيبة التي تنشب في بيت السيد كينج . وصرح قائد الإدارة المركزية قبل أن يبارح المدينة ، قائلاً «كل ما يمكنني قوله هو أنني لم أشهد أبداً شيئاً كهذا طوال حياتي ! ... » .

نادي الجولف

وفي ديسمبر عام ١٩٤١ ، حلت ظاهرة الحرائق العجيبة بنادي دومينيون الريفي الجديد للجولف ، والذي يقع على بعد عدة أميال من مدينة وندسور ، بمحافظة أونتاريو .

بدأ الأمر بعد الواحدة صباحاً بقليل . كان أحد أعضاء النادي يتوجه

إلى حجرة المعاطف ، ليتناول معطفه وقبعته قبل أن ينصرف ، ثم خرج مسرعاً من الحجرة وهو يصيح قائلاً إن قطعة من الورق ملقاة وسط الحجرة ، اشتعلت فيها النار أمام عينيه . أسرع نيكولاس وايت ، صاحب ومدير النادي ، يحمل اسطوانة الإطفاء إلى حجرة المعاطف ، وقبل أن يدخل إلى الحجرة ، سمع صياح أحد السقاة بالنادي ، وهو يقول إن النار قد شبت في المفرش المبسوط على إحدى الموائد . صوب السيد وايت خرطوم أسطوانة الاطفاء إلى المائدة ، وأطلق السائل الرغوي ، فأخمد الحريق . وعاد مرة ثانية إلى حجرة المعاطف ليرى ما فعلته الورقة المحترقة ببساط الحجرة ، لكنه ، وللمرة الثانية استدعي من حجرة الطعام بالنادي ، ليرى النار تشتعل في جميع مفارش موائد الطعام بالحجرة . صاح السيد وايت طالباً من السقاة أن يسكبوا أباريق الماء التي فوق الموائد فوق المفارش الملتهبة فأسرعوا يلبون طلبه .

ومرة ثالثة ، عاد السيد وايت إلى حجرة المعاطف ، وأخمد ما بقي مشتعلاً من أجزاء الورقة وعاد إلى قاعة الطعام ، ليسمع الصيحات تتصاعد من مطبخ النادي . أسرع إلى المطبخ ليرى جميع المناشف المعلقة على مشجب المناشف ، وقد ارتفعت منها ألسنة النار . أمر بالقاء المناشف مشتعلة إلى أرض المطبخ ، وأغرقها بالسائل الرغوي من أسطوانة الاطفاء التي يحملها . وطلب من العاملين بالمطبخ أن يملأوا كل ما تحت أيديهم من أوعية الطهي بالماء .. فقد قوي لديه الإحساس بأن سلسلة الحرائق لم تصل إلى نهايتها .

قرر السيد وايت أن يستعين بفرقة الإطفاء في مواجهة هذه الحرائق

المتكررة ، فأسرع إلى مكتبه بالطابق الثاني الذي يسكنه مع زوجته ، ليتصل تليفونياً بإدارة الاطفاء ، وعندما أخرج دليل التليفون من درج مكتبه ، اشتعلت النار في الدليل ! .. استيقظت زوجة السيد وايت على الضوضاء الصادرة من حجرة المكتب ، وخرجت إلى صالة المنزل تنادي على زوجها لتسأله عن سر هذه الضوضاء ، وقبل أن يستطيع زوجها شرح ما حدث ، اشتعلت النيران في ستائر حجرة الزوجة .. ثم انشغل السيد وايت بعد ذلك ، مستعيناً بجميع العاملين بالنادي ، في إخماد النار التي شبت في سبع حجرات من بين إحدى عشرة حجرة نوم ملحقة بالنادي . وعندما وصل رجال الاطفاء ، كان قد تم إخماد ٤٣ حريقاً في أماكن مختلفة من المبنى .

انتقل قائد الإطفاء إلى النادي ليبحث هذه الظاهرة الغريبة ، مصطحباً معه خبير شركة التأمين لتقرير الخسائر ، أخبرهما السيد وايت أنه قاوم خمسين حريقاً منفصلاً في تلك الليلة العجيبة . انشغل الرجال الثلاثة بالحديث عن هذه الظاهرة ، أثناء جلوسهم في حجرة الطعام بينما انهمك رجال النادي في تنظيف المكان من آثار حرائق الليلة السابقة . وترك أحد الخدم مكنسته في ركن من أركان الحجرة ، فما لبثت أن اشتعلت فيها النيران ، تحت بصر رجل شركة التأمين الذي كان يستريب في رواية صاحب النادي .

قام عدد من الخبراء بدراسة ما جرى في نادي دومينيون ، وهنا أيضاً لم يزيدوا على قولهم انهم لم يشهدوا شيئاً كهذا من قبل .

حرائق ملهى كازانوفا

وفي عام ١٩٥٦ ، جرى استدعاء المسؤولين إلى منزل السيدة إيفا جودفري ، التي بلغت من العمر ٧٦ عاماً ، والتي تعيش في مدينة وتشيتا بولاية كانساس . عند وصول المسؤولين إلى بيت السيدة جودفري ، وجدوها قد لفظت أنفاسها الأخيرة متأثرة بحروقها . والغريب في الموضوع أنه برغم وجود آثار الحروق في جسدها من أعلى الرأس حتى أخمص القدم ، إلا أنه لم يظهر أي أثر من هذه الحروق على ملابسها أو شعرها ! .. وبعد أن انتهت كافة التحريات ، جرى حفظ ملف الحادث ، وزحف النسيان على تلك الواقعة ، لأن الذين حققوا فيها لم يتمكنوا من إعطاء تفسير مقنع واحد لها .

والثابت أن معدل تكرار مثل هذه الحرائق يكون أعلى بكثير مما نظن أو نتوقع ، كما أنها تتكرر عاماً بعد عام دون توقف . وقد نظمت السلطات الفرنسية دراسة دقيقة مكثفة وطويلة عن ظاهرة الحرائق الغريبة التي لاحقت ملهى كازانوفا في السادس من يناير عام ١٩٣٩ . فقد أدت هذه الحرائق إلى وفاة شخصين ، وإصابة ثمانية أشخاص ، نتيجة لحالة الذعر التي سادت الملهى بعد اندلاع النار . قال الشهود للجنة التحقيق أن أول بوادر الحريق ظهرت على شكل أصابع بيضاء صغيرة من الضوء ، بدت على امتداد أرض الملهى وحوائطه . ثم تصاعدت الحرارة في أنحاء المكان فجأة . مما خلق حالة الفوضى بين الرواد . وقد ظل سر هذه الظاهرة الغريبة لغزاً غامضاً مجهول الأسباب .

كذلك حدث في ٤ يناير ١٩٣٩ ، وفقاً لرواية لندن دايلي تلجراف

أن احترق طفل لم يتجاوز عمره ١١ شهراً ومات في بيت أهله في بثير سيتون ، بمدينة بيكهام راي . أما سبب احتراق الطفل ، فهو ارتفاع درجة حوائط حجرته إلى أن اندلعت النيران فيما داخل الحجرة . لكن هذه النيران لم تتطرق إلى أي شيء خارج هذه الحجرة ، بل إن هذه النيران ، لم تفسد طلاء الورنيش الذي طلي به الباب الخشبي للحجرة من الخارج ، هذا بالرغم من التفحم التام للوجه الداخلي للباب ! ..

وقد جاء في عدد ٢٩ يوليو ١٩٣٨ لجريدة ثور ديسكا واجيلاديت ، ذلك التقرير العجيب عن كارثة الحرائق التي لحقت بقرية صغيرة تسمى باراجيفارا ، شمال لابلاند . فقد تساقطت على القرية كرات متوهجة من الضوء ، تشبه النيران ، هابطة من أعلى السماء . لتشعل النار في كل شيء قابل للاحتراق . وقد أدى هذا إلى موت شخص واحد ، مات محترقاً ، كما أصيب العديد من سكان القرية بحروق شديدة كما تخربت خمسة منازل ، وقد تقدم أولئك الذين بحثوا الواقعة ، بنفس التفسير التقليدي ، فاعتبروا كرات الضوء هذه ، كرات برق صاعقة فإذا صدق ذلك التفسير ، فإن النتائج التي أحدثتها كرات البرق هذه ، أغرب النتائج وأبعدها عن السوابق المعروفة .

الحريق يفضل ملابس الأطفال

ومن بين الحرائق العجيبة ، ما جرى يوم ١٩ أكتوبر عام ١٩٦١ ، في مدينة ايفانزفيل ، بولاية انديانا ، ذلك اليوم الذي اعتبره أهل المدينة من الأيام الشديدة البرد ، التي تتسلل برودتها فتقبض النفس وتجمد العقل .

مع هذا فقد صممت السيدة جاك رول على أن تغسل ملابس العائلة ، وعندما تصورت أن المطر قد توقف ، أسرعت تنشر غسيلها على الحبال الممتدة بعرض الساحة الخلفية للمنزل ، وكان من بين الملابس التي نشرتها السيدة رول ، عدة ملابس وغيارات داخلية لطفلتها الصغيرة تراسي التي كانت قد أتمت شهرها السادس .

بعد أقل من ساعة ، بدأ الرذاذ يتساقط مرة ثانية ، فاغتاظت السيدة رول ، وخرجت إلى الساحة الخلفية لتجمع الملابس ، على أمل أن تنشرها داخل البيت لعلها تجف . وكانت دهشتها تعادل غضبها ، عندما اكتشفت أن ملابس الطفل قد اختفت ، أو كادت تختفي .

لقد احترقت تماماً ثماني قطع من ملابس الطفل تاركة أجزاء متفحمة عالقة بمشابك الغسيل ، أما باقي ملابس الطفل ، فقد تفحمت أطرافها ، واحترقت أجزاء أخرى .

أثبتت الاختبارات التي جرت بعد ذلك ، أن الكهرباء لم تصل بأي شكل إلى حبل الغسيل الذي كانت الملابس معلقة عليه . كما لم تظهر أي آثار من أي نوع لحريق في الساحة أو بالقرب منها ، كما لم يلحظ أحد برقا في السماء . بقيت هناك تلك الحقيقة المحيرة ، التي تقول إن النار قد اشتعلت في ملابس الطفل الصغير ، وأن ثماني قطع منها قد احترقت تماماً .

ومن الوقائع الغريبة ، ذلك الحريق العجيب الذي حير رجال الاطفاء في الستيد بنيوهامبشير ووضعهم في مأزق لا خروج منه ، يوم الأحد ٢٣ يوليو عام ١٩٦١ .

تلقت فرقة الاطفاء إشارة من منزل السيد ميبل ميتكالف ، ولما كان مجيء تلك الإشارة في وسط عاصفة رعدية شملت المنطقة ، فقد كان من الطبيعي أن يخرج رجال الأطفاء باستنتاج مفاده إنهم قد تم استدعائهم لإخماد حريق تسبب فيه العاصفة بما فيها من رعد وبرق . لكن ظنهم قد خاب تماماً عندما وصلوا إلى منزل السيدة ميبل ، فلم يجدوا حريقاً ! .. بل إنهم لم يجدوا أي خلل في كهرباء المنزل ، يفسر الظاهرة الغريبة التي سادت البيت ، فقد تحققوا بأنفسهم من أن حوائط المنزل الداخلية كانت على درجة عالية من السخونة ، تكاد أن تصل في سخونتها إلى درجة التوهج والاحمرار . وكان من المستحيل أن يطيق أحد وضع يده العارية على الحائط .

قام رجال الاطفاء برش حوائط المنزل من الخارج بالماء على أمل أن يخفض هذا من سخونة الحوائط الداخلية ، لكن النتيجة جاءت مخيبة لآمالهم . وعندما عجزوا عن فعل شيء ، رابطوا حول المنزل ، وأخذوا وضع الاستعداد ، لاطفاء أي حريق ينشب في البيت .

وعند منتصف الليل ، بدأت حرارة الحائط في الانخفاض ، حتى عادت إلى درجة حرارتها الطبيعية ، فعاد رجال الاطفاء إلى مقرهم ، دون أن يصلوا إلى فهم سر ما جرى في منزل السيدة ميبل .. وبقي لغز النار التي ليست ناراً ، لا يجد له تفسيراً معقولاً .

إنســـان الثّـلج البَغيضْ

ظلت أسطورة الإنسان المتخلف العملاق التي يرددها بعض سكان المناطق النائية ، بجوار الغابات والأدغال ، ظلت هذه الأسطورة موضع استنكار وسخرية من الإنسان المتحضر . وكان ينظر اليها باعتبارها من مبتدعات أهل الفطرة ، ومن تصوير خيالهم الخصب ، فهل يعقل أن يعيش حتى الآن مثل ذلك الإنسان العملاق الذي يكسو الشعر جميع أنحاء جسده ، ولا يعرف عنه علم الأجناس شيئاً .

ومما ساعد على استنكار الانسان المتحضر لهذه الأسطورة ، أن أهل المناطق التي شاهدته أطلقت عليه اسم « إنسان الثلج البغيض » . ومرجع هذه التسمية أنهم لاحظوا وجوده . أول ما لاحظوا . عن طريق الآثار التي طبعها قدم ذلك الإنسان على صفحة الثلوج عند انتقاله من أحد الأودية المهجورة التي يسكنها إلى واد آخر .

لكن الوقائع الثابتة ، برهنت أخيراً على وجود مثل ذلك الإنسان ، ولعل السر في عدم تكرار تجربة لقاء الإنسان المتطور لذلك الإنسان المتخلف ، هو أن فصائل ذلك الإنسان تسكن الأماكن المهجورة ، ومع زحف المدنية يتقلص وجوده وينحسر . فمن المعروف أنه عندما تدفع فصيلة من المخلوقات ، فصيلة أخرى ، إلى خارج بيئتها التي اعتادت

عليها ، فالفصيلة المنهزمة تتقهقر إلى بيئة أكثر فطرة وتوحشاً.

إنسان جبال بامير

هذه المخلوقات تكون عادة خجولة ، وإذا أضفنا إلى ذلك أن سرعتها محدودة ، فلعل إلى هذين العاملين تعود قلة مصادفة الإنسان لهذه المخلوقات . ولقد اعتاد أهل شبه جزيرة الملايو على ترديد الروايات عن رؤية هذه المخلوقات ، ونفس الشيء بالنسبة لسكان منغوليا ، والغابات السيبيرية . كما أن الهنود الحمر الذين يسكنون الشمال الغربي لأمريكا الشمالية ، يرددون أيضاً مثل هذه الروايات عن اللقاء بالإنسان المتخلف . وفي مناسبات قليلة ، استطاع الإنسان المتحضر أن يرى بعض هذه المخلوقات ... وفي بعض هذه المناسبات أتيح له أن يتحقق منها وهي على بعد قليل جداً .

على سبيل المثال ، ومن بين التقارير ذات الصفة العلمية عن ذلك الإنسان ، التقرير الذي تقدم به العالم السوفييتي دكتور أ . س برونين ، رئيس البعثة الهيدرولوجيكية في جبال بامير ، بوسط آسيا ، في صيف عام ١٩٥٧ . قال دكتور برونين إن اثنين من المرشدين ، لفتا نظره إلى مخلوق يتدفأ بأشعة الشمس فوق حافة صخرية ، عبر الوادي الضيق الذي يفصل بينهما . استخدم برونين نظارته المعظمة ، وراح يتأمل ذلك المخلوق لمدة خمس دقائق ، في ظروف رؤية مواتية . وصف دكتور برونين ذلك المخلوق في تقريره ، بأنه يشبه الإنسان في تكوينه ، مع طول في الذراعين ، وأن وجهه مغطى بالشعر وكذلك الحال بالنسبة لجسمه وأن لون ذلك

الشعر بني يميل إلى الرمادي . وقد قدر دكتور برونين طول ذلك المخلوق عند وقوفه بحوالى سبعة أقدام .

بعد هذه التجربة بيومين ، تهيأ لدكتور برونين أن يرى نفس المخلوق مرة ثانية ، أو يرى مخلوقاً آخر من نفس نوعه . وقال برونين في ختام تقريره إن أنسب تسمية يمكن أن نطلقها على ذلك المخلوق هي « الإنسان المتخلف » . وقد عرف نقلاً عن أهل المنطقة أن هذه المخلوقات لا تؤذي البشر ، ولا تعتدي عليهم ، وأنها تتغذى على جذور النبات ، والثمار العنبية ، وبعض الحيوانات القارضة التي تعثر عليها في الشقوق بين الصخور .

سنداي .. مخلوق سومطرة

وفي يونيو عام ١٩٥٨ ، ذكرت وكالة أنباء رويتر ، أن أهل قرية بابامولى في جنوب سومطرة أسروا مخلوقاً غريباً ، يعتبر نوعاً مجهولاً من المخلوقات القريبة من الإنسان . وقالت الوكالة إن المخلوق كان أنثى . يقدر عمرها بحوالى ١٧ عاماً . وأنه مغطى تماماً بالشعر ، من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه . وقالت وكالة الأنباء إن أهالي سومطرة يطلقون على ذلك المخلوق اسم « سنداي » . وكانت حكومة هولندا قد رصدت ذات مرة جائزة مالية لمن يستطيع أن يأسر أحد هذه المخلوقات حياً . وعندما عرض أهالي سومطرة الذين أصطادوا ذلك الإنسان ، أن يسلموه إلى حكومتهم مقابل مكافأة ، لم تبد حكومة سومطرة في ذلك الوقت استعدادها لدفع المكافأة السابق الاعلان عنها . وكان من نتيجة ذلك أن أخذ الأهالي ذلك المخلوق إلى الأدغال ، وأطلقوا سراحه .

وقال تقرير وكالة الأنباء إن ذلك المخلوق رفض أن يتناول أي طعام أثناء الأسر ، كما أنه لم يبذل أي مجهود لتحرير نفسه ، أو مقاومة الأهالي الذين تجمعوا حوله . وقد أشار التقرير إلى أن ذلك المخلوق يشبه الإنسان شبهاً تاماً ، فيما عدا أن الشعر ينمو على جميع أجزاء جسمه ، بما في ذلك الوجه ، وهذا المخلوق كان قصيراً نوعاً ما ، فطوله لم يكن يتجاوز خمسة أقدام .

إنسان جبال داغستان

والواقعة الثالثة ، بطلها الكولونيل كرابيتيان ، عضو قسم الخدمات الطبية بالجيش السوفييتي . كانت البعثة الطبية تعسكر في بوناكسك ، بجبال داغستان . وقد كتب الكولونيل في تقرير عن واقعة جرت في شتاء عام ١٩٤١ ، عندما دعته السلطات المحلية ، لاختبار وفحص « رجل متوحش » ، كانت قد أسرته وهو يسعى في الجبال المجاورة .

قال كرابيتيان إن المخلوق كان ذكراً ، حافي القدمين ، عارياً . وكان تكوينه بشرياً إلى أبعد حد ، يغطيه شعر بني داكن ، ولشعره ملمس خشن أشعث على الصدر والكتفين والظهر . والأجزاء الوحيدة الخالية من الشعر في جسده هي الوجه والكفان وباطن القدمين . والشعر الخفيف المتناثر حول فم المخلوق ، كان خشناً شائكاً ، أشبه بشعر لحية الإنسان. أما شعر الرأس ، فقد كان طويلاً ، لونه بني داكن جداً ، ويصل إلى الكتفين . كان المخلوق في طوله أقرب إلى الإنسان ، يتجاوز قليلاً الستة أقدام ، عريض الكتفين ، طويل الذراعين . وقد قرر الذين تولوا رعاية المخلوق

من أهالي المنطقة أنهم لم يستطيعوا حفظ أسيرهم في مكان دافئ ، لأنه كان يعرق بشكل غزير ، وكان لعرقه رائحة لا تحتمل .

يقول التقرير الرسمي للكولونيل كرابيتيان ، إن ذلك الإنسان الوحشي وقف أمامه كعملاق ، بصدره إلى الأمام ، وكتفيه المستديرتين ، وبيديه الضخمتين ، وكان ليديه أصابع قوية تتدلى حتى ركبته . عندما قدم الطعام لذلك المخلوق لم يصدر استجابة من أي نوع كما أنه لم يقاتل أو يقاوم أو يبذل جهداً لتبادل الحديث أو إصدار الأصوات ، فيما عدا تشيج كالبكاء صدر عنه مرة أو مرتين .

ختم كولونيل كرابيتيان تقريره قائلاً « لم تقل لي عيناه شيئاً . كانتا كبيرتين ، داكنتين ، وكانتا أيضاً معتمتين ، تخلوان من أي تعبير ، كانتا كعيني حيوان لا أكثر ولا أقل » .

عن مصير ذلك المخلوق لا نعرف شيئاً ، لأن الكولونيل كرابيتيان ، نقل من ذلك المعسكر بعد تلك الواقعة بعدة أسابيع ، وهكذا ضاعت فرصة علمية عظيمة لدراسة ذلك الأسير .

ساسكواتش .. المخلوق الأمريكي

واثناء الحرب المنغولية الصينية عام ١٩٣٩ إحدى الحروب العديدة بينهما على الحدود ، التقت فصيلة من الجيش المنغولي بثلاثة مخلوقات غريبة تشبه الإنسان ، تتجمع متكومة على سفح أحد التلال . أطلق الجنود النار على تلك المخلوقات ، وقالوا في تقريرهم إن تلك المخلوقات تشبه الإنسان البري المتوحش ، لا تضع أي ثياب على جسدها ، ويغطيها شعر

يصل إلى حوالي ثلاث بوصات طولاً .

وهذا الوصف ، يطابق الوصف الذي جاء على لسان باحث كيميائي منغولي للمخلوقات التي صادفها عام ١٩٤٧ ، اثناء احدى جولاته الميدانية . كان يجلس إلى جدار صخرة يتناول طعام غدائه ، عندما لاحظ مخلوقاً يشبه الإنسان يكسوه الشعر ، يخرج من شق بالصخور القريبة . أخذ المخلوق يحفر الأرض ، وكأنه يبحث عن شيء يأكله . فراح الباحث الكيميائي يراقب المخلوق لمدة ١٥ دقيقة ، على مسافة تقل عن مائة قدم . وكان وصفه للمخلوق الذي رآه ، مطابقاً للوصف الذي حدده كولونيل كرايتيان للإنسان الوحشي الذي لاقاه .

ولقد عاش سكان المناطق الجبلية في الجانب الشمالي الغربي بأمريكا ، من كاليفورنيا إلى كولومبيا البريطانية ، عاشوا في خوف دائم ، من عمالقة لها شعر يكسو جسدها ، تسكن أعماق الغابات في تلك المنطقة . وعندما تحدث سكان المنطقة من الهنود الحمر عن هذه المخلوقات المخيفة ، التي أطلقوا عليها اسم « ساسكواتش » سخر الرجل الأبيض من قولهم ، واعتبرها ضمن الخرافات البدائية .

ولكن ، مع مرور الزمن ، عندما عاد بعض الرجال البيض بخبراتهم مع تلك المخلوقات في تلك المناطق ، أصبحت روايات الهنود أكثر قبولاً .

وعندما قامت جريدة المستعمر البريطاني ، التي كانت تصدر في ييل ، بكلومبيا البريطانية ، بنشر موضوع عن ذلك الكائن الغريب في ٣ يوليو

١٨٨٤ ، تقدم العديد من الذين لديهم رواياتهم عن « ساسكواتش » بتفاصيل عنها . ونشرت الجريدة بعد ذلك ، كيف أن فريقاً من العاملين في مد خطوط السكك الحديدية ، رأوا مخلوقاً بين الإنسان والغوريلا ، يرقد إلى جوار قضيب السكة الحديد ، عند منخفض عميق على بعد ٢٠ ميلاً شمال ييل . تمكن السائق بصعوبة من وقف القطار في اللحظة الأخيرة ، وهبط الرجال للإمساك بذلك المخلوق ، الذي حاول أن يهرب منزلقاً على الحافة الصخرية . عندما فشل الرجال في الإمساك به ، دون أن يلحقوا ضرراً بأنفسهم ، قفز أحد الرجال فوقه وضرب به على رأسه بحجر ، فأفقده الوعي . وقد تم تقييد المخلوق وتكبيله بحبل ، ثم وضع في عربة البضائع بالقطار . وقد تجمع حشد كبير لمشاهدته ، عندما وصل القطار إلى غايته .

خلال يوم أو يومين ، استعاد جاكو صحته تماماً ، وجاكو هو الاسم الذي أطلق على المخلوق الغريب ، وكان يبدو كانسان صغير ، ينمو شعر أسود حريري على جسده ، فيما عدا الكفين والقدمين والوجه . كان يمشي على قدميه ، وكان طوله يصل إلى أربعة أقدام وعشر بوصات ، أما وزنه فوصل إلى ١٢٧ رطلاً ومن المؤسف أن جاكو ، سمح له بأن يمضي بصحبة عازف متجول ، ولا يدري أحد ما حدث له بعد ذلك . لكن من الوصف الذي أعطي لذلك المخلوق ، يرجح أنه كان صغير السن ، لم يكتمل نموه بعد ، ولا شك أن لون شعره كان سيتغير إلى البني الداكن ، مع مرور السنين .

صراع مع الانسان المتخلف

ثم واقعة أخرى جرت في صيف عام ١٩٤١ . كان السيد جورج تشابمان وزوجته وأطفاله الصغار الثلاثة ، يعيشون في بيت خشبي بالقرب من مدينة صغيرة تسمى روبي كريك ، على نهر فريزر ، على بعد ٢٢ ميلاً جنوب البقعة التي عثر عندها على جاكو إلى جوار قضيب السكة الحديد عام ١٨٤٤ . كان السيد تشابمان يعمل موظفاً في السكة الحديد ، وكان عمله يقتضيه القيام برحلات ، يترك اثناءها لزوجته أمر رعاية الأطفال ، ولد في التاسعة وبنتان أصغر منه .

أسرع الطفل مقبلاً على أمه من خارج البيت ، ليقول إن حيواناً كبيراً يتحرك بين الشجيرات القائمة عند حدود الحقل الخلفي للبيت . أطلت الأم حيث أشار ابنها ، وقالت إن ذلك الذي يتحرك بين الشجيرات لا يخرج عن كونه دباً . لكنها ما لبثت أن تراجعت عن ذلك الرأي ، عندما اندفع ذلك المخلوق خارجاً من بين الشجيرات ، ليظهر كاملاً لها ، فوجدته مارداً يكسوه الشعر ، على شكل الإنسان ، يمشي ببطء مقبلاً نحوهم . هرب الأطفال ناحية النهر ، وسارت الأم خلفهم ، ولكن في خطوات متمهلة ، تنظر طوال الوقت إلى ذلك المخلوق ، كانت ترى بوضوح أن جسمه يغطيه شعر أشعث أو فراء ، وأنه يسير منتصباً ، وله وجه آدمي .

بينما كان الأطفال ومن خلفهم الأم يهربون من الوحش بجاه شاطئ النهر انشغل المارد بنبش محتويات المنزل ، منهياً الزيارة ، بفتح وتحطيم برميل مملوء بالسمك المملح ، وبعثرة السمك في أنحاء ساحة البيت .

قدرت السيدة تشابمان طول المخلوق بسبعة أقدام ونصف ، أو بثمانية أقدام ، وقد ظهرت آثار أقدامه في الوحل حول البيت ، أشبه بآثار أقدام بشرية عارية عملاقة ، مع فارق أن الاصبع الثاني للقدم ، أكبر من الأصبع الكبير ، وقد علقت شعرات بنية من رأس المخلوق في الحلق العلوي لباب البيت ، مما يؤكد التقدير الذي أعطته السيدة تشابمان لطول المخلوق . وغني عن البيان أن عائلة السيد تشابمان ، انتقلت بعد هذه الواقعة مباشرة إلى بيت أقرب إلى المدينة .

هذه المنطقة ، شمال غرب الولايات المتحدة الأمريكية ، كانت مسرحاً لمئات وقائع الالتقاء بين الإنسان المتحضر ، وذلك العملاق نصف الإنسان ، الذي يكسو الشعر جسمه ، والمعروف باسم «ساسكواتش» . وفي عام ١٩١٤ ، اضطرت جماعة من الحطابين إلى هجر معسكرهم بالغابة ، ورفضوا العودة إليه ، نتيجة لهجوم عدد من العمالقة التي تشبه الغوريلا على المعسكر ، وقذف الحطابين بالحجارة ، وتمزيق الخيام .

وفي أغسطس ١٩٥٨ ، كانت جماعة من العاملين في إنشاء الطرق ، تمهد لطريق وسط منطقة جبلية بالقرب من بلاف كريك ، بمنطقة همبولت كونتي بولاية كاليفورنيا . فوجئ العمال صباح ذات يوم ، بآثار أقدام إنسان عملاق حول مهمات العمل ، تظهر واضحة في التراب الناعم ، ثم تكرر الأمر عدة مرات بعد ذلك . ثم بدأت تحدث أشياء أكثر جدية . فذلك العملاق الذي بلغ طول قدمه التي طبعها على الأرض ١٦ بوصة . وبلغ اتساع خطوته ٥٠ بوصة ، ذلك العملاق رفع بولدوزر يزن ٧٠٠ رطل ، ومضى به عدة مئات من الياردات ، قبل أن يلقي به على الأرض ثانية .

كما حمل برميلاً حديدياً مملوءاً بالزيت ، يزن ٣٠٠ رطل ، وصعد به طريقاً جبلياً ، ثم ألقاه بعد ذلك في أخدود صخري . ومن أجل استعادة البرميل ، كان لا بد من تعاون عدد من الرجال ، رغم أن صاحب القدمين الكبيرتين ، وهو الاسم الذي أطلقه العمال على ساسكواتش ، استطاع أن يحمله بمفرده ، وكما يبدو دون عناء كبير .

وقبل أن تضيع آثار ذلك المخلوق الغريب ، تم عمل نسخ من الجص « الجبس » لآثار قدميه وقد جاءت الآثار مطابقة للآثار التي رفعت لأقدام المخلوق الذي خرب منزل السيد تشابمان .

الكف العملاق

ونفس القصة حدثت مع الحطاب روبرت هاتفيلد ، الذي كان يعيش في مدينة كريسينت بولاية كاليفورنيا . ففي أحد أيام شهر فبراير عام ١٩٦٢ ، كان في زيارة لأحد أصدقائه ، السيد باد جنكينز ، الذي يسكن على بعد أربعة أميال من فورت براج .

سمع هاتفيلد كلب جنكينز ينبح نباحاً قوياً متتابعاً ، يكشف عن رعبه ، فخرج من البيت ليرى ذلك الذي يزعج الكلب . وفي آخر الساحة ، على بعد حوالى ٦٠ قدماً من المكان الذي كان يقف فيه ، رأى مارداً يكسو الشعر جسده بالكامل ، وله وجه أشبه بوجه الإنسان ، يتطلع إليه عبر السور . ولما كان رأس المارد وصدره يظهران فوق السور ، مما يؤكد أن ذلك المارد يزيد طوله على سبعة أقدام .

في بداية الأمر ، ظن هاتفيلد أنه ينظر إلى دب ضخم ، أضخم دب

رآه في حياته ، فاندفع إلى داخل البيت ، طالباً من مضيفه جنكيتز أن يقبل ليرى ذلك المخلوق . خرج الرجلان بسرعة ، فلم يجداه في المكان الذي رآه عنده هاتفيلد . اندفع هاتفيلد حول ركن البيت يعدو بحثاً عن المارد ، فاصطدم به ، وانكفأ على وجهه . وأسرع ينهض ويعدو ، طالباً من جنكيتز أن يدخل إلى البيت ، وهو يقول « إنه نصف إنسان ونصف وحش ! » .

عندما اندفع هاتفيلد إلى البيت ، كان المخلوق يتقدم خلفه . دخل هاتفيلد إلى البيت وحاول إغلاق الباب ، لكن ذلك المخلوق كان في الجانب الآخر من الباب ، يحاول أن يفتحه . وبلغ من قوة ذلك المخلوق ، أن فشل الرجلان معاً في إغلاق الباب . وعندما خف ضغط المارد على الباب للحظات أسرع جنكيتز ليأتي بمسدسه . عندما انتهى من تزويد المسدس بالرصاص ، وعاد إلى الباب ، كان المارد قد اختفى تاركاً آثار قدميه العملاقة حول البيت وعند المدخل ، وكذلك آثار كفه الملطخ بالوحل على حوائط البيت البيضاء ، وكانت هذه الآثار هي الدلائل المادية على صدق قصة الرجلين . وقد تم تصوير هذه الآثار ، ووجد أن عرض الكف ١١ بوصة ، أما آثار القدم ، فقد تبين منها أن المخلوق كان قد فقد أحد أصابع قدمه .

النعوش العائشة

الذي لا شك فيه أن المدافن والمقابر كانت دائماً المصدر الأكبر للكثير من الروايات العجيبة ، والأساطير التي لا تصدق .. ولعل مرجع ذلك أن المدفن هو الحد الأخير لحياتنا المعروفة .. والبداية الأولى لعالم المجهول ، الذي يصعب على عقولنا أن تتمثله .. وفيما يلي بعض الوقائع العجيبة التي حدثت في بعض المدافن .. وقائع خضعت للبحث والتحقيق من جانب رجال الكنيسة وسلطات الأمن .. وقد جمع بينها جميعاً أنها طرحت العديد من الأسئلة ، أسئلة لم تجد من يصل إلى إجابة عنها .

الخيول الهائجة !

جزيرة أوسيل ، جزيرة صغيرة في البحر البلطيقي ، ذات طبيعة صخرية ، تطوف بها الرياح العاصفة دوماً . وقد اشتهرت الجزيرة بالنوع الخاص من الويسكي الذي تصدره ، لكن شهرتها الأعظم تعود إلى ذلك اللغز الغامض الذي يحيط بمدافن أرينسبورج . وأرينسبورج هي المدينة الوحيدة العامرة في الجزيرة الصخرية . ومن عادة العائلات الثرية بالمدينة أن تبني أبراشيتها أو كنيستها الخاصة بها ، بحيث تودع بها النعوش المصنوعة من خشب البلوط لبعض الوقت ، وقبل نقلها إلى القبو الملحق بها ، الذي

يدفن فيه موتى العائلة .

وفي الطريق العام الخارجي ، الذي يصل المدينة بباقي الجزيرة ، يمكن للمار أن يرى العديد من الأبراشيات أو الكنائس الصغيرة الخاصة ، والمدافن الملحقة بها . واحدة من هذه الكنائس تتبع عائلة باكسودن ، وهي أقرب الكنائس إلى الطريق العام .. من القبو التابع لهذه الكنيسة تفجرت الأحداث المحيرة التي لم يجد أحد تفسيراً لها حتى الآن .

في تقرير رسمي ، يتضمن جانباً من وقائع تلك الأحداث المحيرة ، جاء ما يلي :

يوم الاثنين ٢٢ يونيو عام ١٨٤٤ ، كانت السيدة دالمان ، زوجة حائك المدينة ، تقود عربتها في ذلك الطريق الذي تطل عليه الكنائس ، لزيارة قبر والدتها ، وقد اصطحبت معها في العربة طفليها الصغيرين . ربطت السيدة دالمان حصان العربة إلى عمود في مواجهة كنيسة عائلة باكسودن . وعندما عادت إلى عربتها بعد عدة دقائق ، وجدت الحصان في حالة هياج شديد ، يرغي ويزبد كمن استولى عليه رعب قاتل .

لما كان من الصعب عليها أن تقود الحصان وهو في هذه الحالة ، فقد عمدت إلى استدعاء الطبيب البيطري للمدينة . ولم يكن أمام الطبيب سوى أن يجري العلاج التقليدي المعروف في تلك الأيام وهو فصد دم الحصان .

ما أن عاد الحصان إلى حالته الطبيعية ، حتى أسرعت السيدة دالمان إلى قصر البارون دي جالدينستاب ، قريباً من مدينة ارينسبورج ، لتنقل إليه تفاصيل الواقعة الغريبة . ورغم أن البارون قد أحسن استقبال السيدة

دالمان ، واستمع إليها بأدب ، إلا أنه لم يكن على استعداد لسماع مثل هذه القصة السخيفة عن الحصان الهائج الذي أفزعته الأشباح . وقد حاول البارون أن يرجع ما حدث للحصان ، إلى لدغة نحلة ، أو إلى خوف الحصان من حيوان صغير آخر . وانتهى ذلك اللقاء دون أن يقنع أحدهما الآخر .

في يوم الأحد التالي ، ربط عدة أشخاص خيولهم بالقرب من مدافن كنيسة باكسودن ، وخرجوا من الكنيسة بعد انتهاء المراسم الدينية ، ليجدوا خيولهم ترتعش من فرط الرعب . وبعد هذا بعدة أيام ، أفاد بعض القرويين الذين كانوا يمرون بهذه البقعة ، أنهم سمعوا أصوات دمدمة عالية ، آتية من ناحية القبو الذي يتخذ كمدفن أسفل الكنيسة .

مرت الأيام ، وتكررت ظاهرة الرعب الذي يصيب الخيل في نفس ذلك المكان ، وبنفس الطريقة . وأصبح واضحاً للجميع أن شيئاً ما غير عادي يجري هناك . وبعد التثبت من هذه الوقائع ، أجمع المسؤولون على ضرورة تقصي هذه الظاهرة . لكن بقي السؤال الأساسي بلا جواب ، ما السبب في هذا الذي يحدث ؟ ! .

كثر اللغط بين سكان المدينة ، حول ضرورة اتخاذ إجراء بصدد هذه الظاهرة الغريبة . وطالب معظم السكان بإجراء بحث وتحقيق رسمي لمعرفة مصدر هذه العجائب ، والوصول إلى طريقة تمنع حدوثها ، وتوقف الرعب الذي أصاب الخيل والبشر .

في بداية الأمر ، اعترضت عائلة باكسودن على فكرة دخول أي بشر لفحص مقابر العائلة .. قالوا إن المسألة برمتها لا تزيد على كونها مكيدة

دبرها أعداء العائلة ، الهدف منها إشاعة السخرية من العائلة ، والعبث بمقدساتها . ولكن نتيجة للضغط المتزايد ، وقبل أن ترضخ العائلة لفكرة التحقيق الرسمي ، اختارت بعض من يمثلون العائلة لزيارة الكنيسة ، وفحص القبو الذي يضم نعوش العائلة ، بحيث يمكن بعد ذلك السماح للجهات الرسمية بالدخول إلى القبو ، للتثبت من سخافة الأقوال التي تناقلها أبناء المدينة .

عندما دخل وفد العائلة إلى القبو ، كانت في انتظاره مفاجأة مذهلة ! .

لقد خرجت النعوش من أماكنها ، وتراكمت في كومة غير منتظمة وسط أرض القبو .

فحص رجال العائلة نعوشها ، فوجدوها سليمة لم تفتح ، فقاموا برفع النعوش الثقيلة وإعادتها إلى أماكنها الأصلية ، في الرفوف الحديدية المقامة على امتداد جدار القبو . وعندما انتهوا من مهمتهم ، حرصوا على التثبت من إغلاق باب القبو جيداً . بل انهم — على سبيل الاحتياط — صبوا رصاصاً منصهراً في أقفال الباب ، حتى يقطعوا الطريق على أي عابث يعود إلى إشاعة الفوضى في مدافن الأسرة .

مضت عدة أيام هادئة ، وتوقف الحديث عن الخيول المرتعدة . وفي يوم الأحد الثالث من يوليو ، انقضت الصاعقة ! .

دخل الرجال لحضور الصلاة بالكنيسة ، بعد أن ربطوا ١١ حصاناً بالقرب من الكنيسة . وأثناء ذلك فوجئ المارة بالخيل تثور ، وتتقهقر ، وتنتفض رافعة سيقانها الأمامية في الهواء ، دون سبب ظاهر . بل إن بعض الخيل ، ألقت بنفسها على الأرض بعنف ، في محاولة للفكاك من

اللجام الذي يربطها إلى القائم . وعندما وصل خبر الخيول الثائرة إلى أصحابها ، كان ستة منها قد ارتمت على الأرض غير قادرة على النهوض ، أما باقي الخيول فقد أسعفت بالعلاج التقليدي ، فصد الدم . وقد مات ثلاثة منها حيث ترقد ، اما من فرط الرعب أو من أثر ما نزف منها من دماء أثناء الفصد .

الذين فقدوا خيولهم تزعموا أهل المدينة الثائرين الغاضبين ، في مسيرة تطالب المحكمة الكنسية التي تنعقد دورياً في أرينسبورغ بالتدخل . وقد لحقت المحكمة نفس الحيرة التي سبقهم اليها المسؤولون ، فلم تعرف كيف تتصرف في هذه المشكلة الغريبة . وبينما أعضاء المحكمة في حيرتهم هذه ، تدخل القدر مرة ثانية .

نعش جديد

لقد توفي أحد أعضاء عائلة باكسودن وبعد انتهاء مراسم الجنازة ، قرر بعض أفراد العائلة اصطحاب النعش الجديد إلى القبو ، الذي أصبح مصدر قلق دائم للعائلة . قاموا بصهر الرصاص الذي يختم الأقفال ، وفتحوا باب القبو ، ليواجهوا بمشهد عجيب .

مرة ثانية ، عادت النعوش لتهرب من أرففها الحديدية ، وتتجمع وسط القبو في كومة كبيرة غير منتظمة . وكان بعض النعوش مقلوباً على ظهره ، كما وجدوا أن أحد النعوش الثقيلة قد تحطم عندما اندفع من فوق الرف الحديدي الذي يستقر عليه ، هابطاً إلى أرض القبو .

اقتنع أفراد العائلة أن شخصاً ما ـ أو شيئاً ما ـ قد حرك هذه النعوش

من أماكنها ، وألقي بها على أرض القبو بهذه الصورة . لكنهم لم يجدوا ما يعملونه سوى أن أعادوا النعوش إلى أماكنها وأحسنوا إغلاق باب القبو ، ثم صبوا الرصاص المنصهر مرة ثانية في الأقفال .

تسرب خبر ما حدث في القبو إلى أهل الجزيرة ، وكما هي العادة عندما تتناقل مثل هذه الأخبار ، تصاعدت المبالغات الخيالية . وساد الهياج أهل المدينة ، فبدا للمحكمة الكنسية ضرورة اتخاذ إجراء .. أي إجراء ، يهدئ ثائرة السكان ، فقد كاد الأمر يخرج من يد المسؤولين .. فقررت المحكمة الكنسية أن تجري فحصاً للقبو ، لكن عائلة باكسودن كانت لا تزال على موقفها من الاعتراض على اقتحام مدفن العائلة ، بدعوى أن أفرادها قد دخلوا القبو من قبل ، ولم يجدوا ما يمكن أن يمس أو يخص أهل المدينة . وبعد مداولات ، رضخت العائلة لطلب المحكمة ، بعد أن أقنع أحد عقلاء العائلة باقي أفرادها بأن ذلك الوقت هو أنسب وقت لدخول هيئة المحكمة أو من يمثلها إلى القبو ، بعد أن أعاد أبناء العائلة النعوش إلى أماكنها .

قام البارون جالدينستاب ، رئيس المحكمة الكنسية ، بصحبة اثنين من أفراد العائلة بزيارة القبو . كان باب القبو مغلقاً ، ورصاص الأقفال لم يمس . وعندما فتحوا باب القبو ، وجدوا النعوش قد عادت إلى نفس الفوضى ، متكومة وسط القبو . وبلا نقاش ، أعادت اللجنة النعوش إلى مكانها ، وخرجت من القبو ، ثم أغلقت الباب بإحكام ، وقد قرر البارون أن ما حدث يستوجب دراسة جادة من جانب الجهات المسؤولة . طلب البارون من الكنيسة أن تختار قسيساً يشارك في البحث ، فاستجيب

إلى طلبه . وقد ضمت هيئة البحث دكتور لوس ، بالإضافة إلى سكرتير يتولى تسجيل كل ما يحدث أو يقال .

مصيدة التراب الأسود

عندما توجهت الهيئة المختارة إلى القبو ، وجدت اقفال الباب سليمة ، ومع هذا ، فما أن فتحوا باب القبو ، حتى وجدوا النعوش متكومة وسط أرض القبو ، مع استثناء ثلاثة نعوش ، تخص جدة رأس العائلة ، وطفلين صغيرين من أطفال العائلة ، فقد بقيت هذه النعوش في مكانها . لم تظهر على أي نعش علامات أو آثار لمحاولة فتح النعش ، لكن الهيئة أصرت على فتح نعشين ، لمعرفة إذا ما كانت السرقة هي الدافع إلى ما يحدث بالقبو .. وهذا الاجراء أثبت أن ظنون الهيئة لم تكن في محلها ، فقد كانت الجواهر على جثمان المتوفى في مكانها لم تمس ، فعادوا إلى إغلاق النعشين ..

وبقي السؤال المحير كما هو ، كيف دخل المقتحمون إلى القبو ؟! .

لما كانت أقفال الباب سليمة ، فقد شك أعضاء الهيئة في أن يكون المقتحم قد حفر نفقاً يؤدي إلى أرض القبو ، مستغنياً بذلك عن الباب . استدعت الهيئة مجموعة من العمال ، قامت بالحفر في أرض القبو فلم تجد ما يؤكد ظنها . قام العمال بحفر خندق حول القبو ، بهدف اكتشاف احتمال وجود نفق يؤدي إلى جدران القبو .. ولكن بلا نتيجة . بعد ذلك الجهد المخيب للآمال ، لم يجد أعضاء الهيئة من تفسير ، سوى العودة إلى القول بأن المقتحم قد دخل بطريقة ما من خلال الباب .

لهذا عمدت الهيئة إلى نصب شرك للمقتحم ، يكشف آثاره ، أياً كان سبيله لاقتحام القبو ، ذلك بأن نثروا على الأرض التراب الأسود لخشب محروق مطحون .. نثروا التراب الأسود في جميع أنحاء أرض القبو حتى تظهر آثار أقدام المقتحم ، وأغلقوا الباب ، وأحكموا الأقفال ، ثم نثروا التراب الأسود على الدرج المؤدي إلى القبو . ثم أرادوا أن يقطعوا دابر أية محاولة من أي نوع ، فوضعوا حرساً مسلحاً بالقرب من القبو على مدى ٧٢ ساعة متواصلة ، لم يلحظ الحرس أي شيء غير عادي ، كما لم يسمعوا شيئاً غريباً . وقد حرص سكرتير اللجنة على أن يسجل في تقريره أسماء الحراس . وفي نهاية هذه المهلة ، عادت الهيئة إلى القبو ، وعاينت التراب الأسود المنثور على الدرج ، فلم تجد به أثراً .. كسروا الأقفال ، وفتحوا الباب . هذه المرة كانت النعوش تقف على رأسها ، متوزعة في أنحاء القبو ! .. كانت جميع النعوش قد غيرت مكانها الذي كانت فيه عندما غادرت الهيئة القبو لآخر مرة ، قبل ذلك بثلاثة أيام . وهذه المرة أيضاً بقيت نعوش الجدة والطفلين في مكانها .

سجلت الهيئة في تقريرها أن أحداً لم يقتحم المكان في أي ثغرة أو نفق .. ثم لم يكن أمامها سوى أن تعترف بعجزها عن تفسير هذه الظاهرة ، واختصرت توصياتها على طلب نقل النعوش من مكانها هذا إلى مكان آخر ، قد تجد فيه راحتها .. وقد استجابت عائلة باكسودن لطلب الهيئة بكل حماس ، حتى تتخلص من ذلك المأزق الغريب الذي وجدت نفسها فيه .

النعش يمضي خارجاً !

هذه الفوضى التي شاعت في قبو عائلة باكسودن ، تجد نظيراً لها في التقرير الذي يتضمن ما جرى في كنيسة سناتتون ، في سافولك كونتي ، بانجلترا .

فهناك ، في قبو يخص احدى العائلات الفرنسية ، كانت نعوش العائلة موضوعة فوق قواعد خشبية ثقيلة . عندما جرى فتح القبو لإضافة نعش جديد عام ١٧٥٥ ، يقول تقرير الكنيسة أن الدهشة سادت الجميع ، نتيجة للفوضى التي عمت النعوش التي في القبو .

جاء في وصف أحد هذه النعوش ، انه عبارة عن صندوق خشبي ضخم يكسوه الرصاص ، ويحتاج إلى ثمانية رجال أقوياء لرفعه .. ذلك النعش وجد في جانب من القبو ، مقابلاً للجانب الذي كان يوضع فيه .. وقد وجد ذلك النعش مائلاً ، يستند بأحد طرفيه على الدرجة الرابعة من درج القبو المؤدي إلى الكنيسة ، بينما كان طرفه الآخر يستند إلى أرض القبو وكأنما هو يتأهب للمضي خارج القبو ! ..

وأيضاً في هذه الواقعة ، جرى فحص المكان بدقة ، وتثبت أفراد العائلة من أن هذه الفوضى التي سادت النعوش جرت ، دون أن يقتحم أحد ما القبو ، أو يكسر اقفال بابه .

النعش الدخيل

وهناك ظاهرة غريبة أخرى ، حدثت في سبتمبر من عام ١٩٥٦ . كان أبناء عائلة كالاباني يحفرون في مدافن الأسرة التي تقع وسط المدفن

الكبير الملحق بكنيسة جريس فارم ، بمدينة ويسبورت ، بولاية كونيكتيكوت الأمريكية . وقد توجهوا بالحفر إلى الموقع الوحيد الخالي من مدفن الأسرة ، والذي لم يدفن به أحد بعد . ولنا أن نتصور مدى دهشة الاخوة والآباء ، عندما وجدوا نعشاً غريباً يشغل المكان الخالي .

جرى فتح النعش ، فاكتشفوا أنه يضم جثمان رجل لم يحدث أن وقع عليه بصرهم من قبل . كان الجثمان لرجل في حوالي الخامسة والأربعين من العمر ، متورد الخدين ، يرتدي حلة زرقاء غالية . وكانت الحلة في حالة جيدة جداً ، وكأنها قد خرجت للتو من تحت يد الكواء . كان منظر الرجل الراقد في النعش يوحي بأنه إنسان محترم ، ومن المحتمل أن يكون قد شغل مكانة مهمة بالمجتمع ، وكان النعش الذي يرقد فيه من النوع الثمين ، المرتفع الثمن .

سادت الحيرة أبناء عائلة كالاباني ، من يكون الرجل الراقد في ذلك النعش ؟ وكيف جاء النعش إلى مدافنهم ، في الموقع الذي كانوا يتوقعون أن يجدوه خالياً ؟ ..

لما كان من الصعب على العائلة أن تتعرف على شخصية صاحب النعش ، حتى تنقل نعشه إلى عائلته ليدفن في مكان آخر ، فقد اضطروا إلى اغلاق النعش واهالة التراب عليه مرة ثانية ، رغم ما شعروا به من استياء وضيق ..

لم يصل أمر هذه الواقعة إلى الشرطة إلا في الربيع التالي ، وتسرب خبر الغريب المدفون في مقابر أسرة كالاباني إلى رجال الكنيسة وسلطات الأمن ، فقررت الشرطة أن تتحرى الأمر ..

باشراف رجال الشرطة ، تم الحفر في موقع النعش مرة ثانية ، وعندما

تم إخراج النعش من الحفرة ، فتحه رجال الشرطة ، ليجدوا به رفات رجل مات قبل ذلك الوقت بخمسين سنة على الأقل ، وهذا هو ما قرره المختصون بعد فحص عظام المتوفى .

أصر الأخوة كالاباني على أن ذلك الذي يشغل النعش حالياً ، ليس هو المتوفى الذي رأوه قبل ذلك بعدة شهور ، بل إن النعش الذي أخرج من الحفرة ، لم يكن نفس النعش الذي رأوه من قبل !

وقد ثارت عدة تساؤلات في أعقاب تلك الواقعة العجيبة هل كان الرجل الميت الذي يرتدي الحلة الغالية الزرقاء ، والذي رآه الاخوة كالاباني من قبل ، ضحية جريمة قتل ، جرى اخفاء جثته في ذلك المكان ، ثم اكتشافها بطريق الصدفة عندما حفر الاخوة في ذلك المكان ؟ .. وهل علم القتلة باكتشاف جثمان الرجل ، فأسرعوا بنقل النعش ، واستبدلوا به نعشاً آخر يضم رفات رجل توفي منذ خمسين عاماً ؟ .. أم أن الاخوة كالاباني كانوا في مواجهة نفس المتوفى في الحالتين ، وأن الجثمان قد تحلل سريعاً عندما تعرض للهواء ، الأمر الذي يعود إلى ظاهرة طبيعية معروفة ؟ ..

بل لقد تردد سؤال أخير : ألا يجوز أن يكون الاخوة كالاباني قد أبصروا الرجل المتوفى في المرة الأولى ، كما كان يبدو في حياته منذ خمسين سنة ، لا كما كان يبدو فعلاً داخل النعش ؟ ..

لقد حكمت المحكمة ببقاء ذلك النعش الغريب في مدافن أسرة كالاباني حتى يتم التعرف على شخص المتوفى .. وقد كان معنى ذلك القرار أن يبقى النعش في مكانه إلى الأبد !

لعنات عجيبة

بعد اكتشاف قبر توت عنخ آمون ، كثر الحديث عن لعنة الفراعنة ، فقد مات معظم الذين اقتحموا المقبرة ، ميتات غامضة ، ثم قام البعض بتقصي تاريخ هذه اللعنة ، فيما سبق اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون ، واكتشفوا العديد من الميتات الغامضة والنهايات الغريبة المأساوية لأولئك الذين كان لهم احتكاك وثيق بالمقابر الفرعونية . وإذا كانت لعنة الفراعنة قد حظيت بهذه الشهرة الواسعة ، فإن هنالك العديد من اللعنات التي جرى تجميعها من جميع الأنحاء على مدى التاريخ .

واللعنة ، تتضمن في أغلب الحالات ، طاقة غضب هائلة ، أو احساساً عميقاً بالظلم ، والعجز عن دفع ذلك الظلم . هذه الحالة وجد العلماء أنها تصاحب الكثير من القدرات العقلية الخارقة عند الإنسان ، مثل التخاطر ، ومثل القدرة على التأثير في الأشخاص والأشياء ، دون واسطة مادية . والأرجح أن اللعنة التي يطلقها الشخص ، وتفعل فعلها بطريقة غير مفهومة عبر الزمان ، تخضع أيضاً لهذا النشاط من أنواع النشاط العقلي الخارق للعقل الإنساني .

والأمثلة على ذلك عديدة .

قدم المرأة المظلومة

في مدينة باكسبورت ، بولاية مين الأمريكية ، يمكن للإنسان حتى اليوم تقصي الشواهد الظاهرة لحملة اصطياد السحرة المسعورة التي سادت تلك المنطقة ، وامتدت إلى نيو انجلاند . وقد شاع في ذلك الوقت الاسراع باعدام كل من يشتبه احترافهم أو ممارستهم السحر . وقد سار كولونيل باك مؤسس مدينة باكسبورت على نفس ذلك النهج ، فأباح اعدام من يمارسون السحر ..

وقد شاع وقتها تصور للساحرة ، امرأة كبيرة في السن ، لها ذقن ناتئ ، تتسم تصرفاتها بالغرابة والشذوذ . لهذا لم يجد الكولونيل باك صعوبة في اختيار ضحيته الأولى . وقد حاولت ضحيته بكل وسيلة أن تنفي عن نفسها هذه التهمة الظالمة ، لكن الكولونيل لم يستجب إلى استعطافها ، وقرر تعذيبها إلى أن تعترف . وبعد مضي عدة ساعات من التعذيب ، دون جدوى ، قرر الكولونيل إعدامها .

ورغم قسوة التعذيب الذي لقيته السيدة ، فقد بقيت محتفظة بوعيها حتى النهاية ، وعندما كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة ، أطلقت لعنتها على الكولونيل ورفاقه ، وأعلنت أنه عندما يموت ، سيحمل قبره أثر قدمها ، كدليل على أنه قتل امرأة بريئة .

لم تغب هذه اللعنة عن خاطر كولونيل باك طوال حياته ، وعندما مات ، بذل ورثته جهداً جاداً في تنفيذ وصيته التي طلب فيها أن تكون أحجار قبره من النوع الجيد الذي لا تشوبه شائبة . وبعد اختيار أحجار القبر بعناية ، قام الورثة بوضع شاهد عند رأس القبر ، من الحجر الأبيض

الناصع ، يرتفع عالياً في الفضاء ، تخليداً لذكرى مؤسس المدينة ، وأغنى أغنيائها .

كان حارس المقبرة هو أول من لاحظ ما طرأ من تغير . أسرع إلى الكنيسة يبلغ القس ، الذي قام باستدعاء أقارب الكولونيل باك . لقد ظهر للجميع بوضوح تلك التغييرات التي طرأت على حجر المقبرة ، والتي رسمت إطاراً باهتاً لقدم امرأة ! . وأخذ ذلك الإطار الباهت يزداد وضوحاً يوماً بعد يوم .

أسرعت أسرة الراحل إلى استدعاء نحات الحجر ، الذي قام بنحت أحجار المقبرة من جديد ، لإخفاء آثار قدم المرأة التي راحت ضحية الكولونيل الراحل .

لكن ، عندما عادت الآثار للظهور بعد عدة أسابيع ، اجتذب هذا العديد من أهل المدينة ، فطلب ورثة الكولونيل تغيير الحجر كلية ، والاستعاضة عنه بحجر جديد . ومع هذا ، فقد ذهبت جهودهم سدى ، وعاد أثر قدم المرأة ليرتسم على الحجر من جديد ... عندها ، توقفت جهود الورثة ، ورضخوا أخيراً للأمر الواقع .

وما زال ذلك الحجر باقياً في مكانه حتى اليوم ، وقد انطبعت عليه بوضوح آثار قدم المرأة المظلومة .

صورة الحبيبة

ومن وقائع الآثار التي ترتسم على أحجار القبور ، ما حدث لمهندس السكك الحديدية روبرت ماسجروف الذي توفي عندما اصطدم قطاره

بقطار آخر عام ١٩٠٤ ، والذي جرى دفنه في مقابر كنيسة فاييت كونتي ، بولاية الأباما .

قبل وفاة ماسجروف ، كانت الترتيبات قد اتخذت لزواجه من الفتاة التي أحبها حباً جماً . وعندما حدثت الوفاة ، كانت خطيبته المفجوعة تقوم بزيارة قبره لمدة ساعة كل يوم ، وقد ركعت تتلو صلواتها .

وفي عام ١٩٦٠ ، تغير لون الأحجار التي شيدت منها مقبرة ماسجروف إلى اللون الأسود ، نتيجة لعوامل التعرية . وقد لاحظ زوار المدفن ظهوراً تدريجياً لملامح صورة على الحجر الرأسي للمقبرة ، والذي يصل ارتفاعه إلى ثمانية أقدام ، وكانت الصورة لامرأة شابة . كان لون الصورة يتميز ببياضه فوق الحجر الأسود . وعندما حل عام ١٩٦٣ ، ازدادت الصورة وضوحاً ، حتى انها كانت ترى لكل من يمر بالطريق الذي يقع عند مدخل الكنيسة .

كانت الصورة تمثل شابة في ملابس الفرح ، وقد ظهرت طريقة تصفيف شعرها بوضوح ، كما ظهرت رموش عينيها مرسومة بالتفصيل . لم تكن صورة اليدين متميزة تماماً ، ولكن بدا انهما تحملان شيئاً ، والذين كانوا على صلة بالراحل وخطيبته ، يقولون إن شبه الصورة بالخطيبة ، يتأكد بمرور الزمن .

فهل كان المحرك لهذه الظاهرة الغريبة ، الحب الكبير الذي يكنه الراحل لحبيبته ، أم هو ما شعر به ماسجروف من احباط وحسرة ، نتيجة لذلك الحادث الذي حرمه من الاقتران بحبيبته ؟ ..

رأس الحصان

ثم هذه الظاهرة التي قاومت عوامل التعرية ، التي واصلت عملها في أحجار مقبرة جيمس هاف بمدينة وليامستون ، بولاية نورث كالورينا ، على مدى ما يزيد على ثلاثة أرباع القرن . لقد مات هاف ودفن في ١٣ أكتوبر ١٩٠١ ، وحتى اليوم تظهر على قبره الظلال والأضواء التي ترسم صورة رأس حصان !

كان هاف يعشق حصاناً له ، يحرص على أن يوفر له كل رعاية وعناية . ذات مساء ، أسرج هاف حصانه الأثير ، وامتطاه ، ثم انطلق به في جولة بالمنطقة . وفي صباح اليوم التالي ، وجدت جثة هاف مهشمة ، في بقعة مهجورة بالقرب من طريق ريفي صغير ، أما الحصان ، فلم يعثر له على أثر منذ ذلك الحين .

بعد وفاة هاف بشهرين ، لاحظ أحد المارة ، الاطار الداكن لرأس حصان منقوشاً على حجر مقبرة هاف ، وبالتدريج أخذت الصورة تزداد وضوحاً ، وباكتمال سنة واحدة كانت الصورة مكتملة تماماً ومحددة التفاصيل ، على نفس الهيئة التي تظهر بها اليوم . وعند فحص حجر المقبرة ، لم تظهر عليه أي شقوق أو خدوش ، يمكن أن تفسر بها صورة رأس الحصان ... فقط هذه الظلال الداكنة التي ترسم رأس حصان ، والتي قاومت أثر الشمس والأمطار لأكثر من ٧٥ سنة .

لعنة على منصة الاعدام

وفي مدينة مونتجومري إحدى مدن ويلز ، تجمع عدة مئات لمشاهدة

تنفيذ حكم الاعدام ، في شاب إنجليزي يدعى جون دافيز ، كان قد اتهم بقطع الطريق وسرقة كيس نقود بالقوة . لم يكن لدافيز غير عدد قليل جداً من الاصدقاء ، بين ذلك الجمع الذي احتشد لمشاهدة تنفيذ حكم الاعدام ، ذلك لأن أهل المدينة بنوازعهم القبلية ، كانوا ضد ذلك الشاب الإنجليزي الغريب ، الذي استدعته إلى مدينتهم أرملة من بينهم ، لمساعدتها في مزرعتها .

قام دافيز بعمله في المزرعة على خير وجه . وبينما كان يسير ذات يوم في طريق ريفي مهجور ، اعتدى عليه اثنان من اللصوص ، واستوليا على كيس نقوده بعد أن أوسعاه ضرباً . وخوفاً من أن يشكوهما إلى السلطات ، حملاه إلى مقر الشرطة ، واتهماه بقطع الطريق على المسافرين .

عندما آفاق دافيز من إغمائه ، حاول أن يدافع عن نفسه ، فلم يأخذ رجال الشرطة بأقوال ذلك الانجليزي الغريب ، ومالوا إلى الأخذ بأقوال المعتدين لأنهما من أبناء ويلز . وهكذا حكم على دافيز بالاعدام ، وهي العقوبة المحددة لقطع الطريق في ذلك الوقت . مضى دافيز في احتجاجه على ذلك الحكم الظالم ، محاولاً أن يبرئ نفسه من التهمة ولكن دون جدوى .

عندما حلت ساعة تنفيذ حكم الاعدام ، وبعد أن وقف على منصة المشنقة ، رفع جون دافيز يده اليمنى إلى أعلى ، وصاح « سأموت وأنا أصلي ، طالباً من الله ألا ينمو زرع فوق قبري ، حتى يكون في هذا الدليل الدامغ على براءتي من التهمة التي الصقت بي ظلماً » .. غير أن حكم الاعدام جرى تنفيذه في التو .

تم دفن دافيز في مدافن ساحة كنيسة مونتجومري وبعد قليل اكتشف أهل المدينة أن قبر دافيز يختلف عن باقي القبور . كانت الحشائش تنمو على جميع القبور ، ما عدا قبر دافيز .

لاحظ أهل المدينة ذلك ، كثر لغطهم حول هذه الظاهرة ، وما تحمله من دلالة . ورغم دهشة المسؤولين ، فقد أسرعوا يأمرون بنقل تربة تنمو عليها الحشائش ، ووضعها فوق المقبرة ، لكن الحشائش ما لبثت أن ذبلت وجفت ، وعادت التربة فوق المقبرة جرداء بلا زرع . فأمروا بنثر بذور الحشائش فوق التربة ، لكنها لم تنبت شيئاً .

لقد جرى تنفيذ حكم الاعدام في جون دافيز في ٦ سبتمبر ١٨٢١ ، ودفن في نفس اليوم . وفي عام ١٨٥١ ، أي بعد الدفن بثلاثين سنة ، تم حرث تربة المقبرة بأكملها ، وجرى تغطية المكان كله بتربة طازجة بارتفاع قدمين ، وتم بذر البذور بكثافة في التربة الجديدة . وفي ظرف أسبوعين تحولت أرض المقبرة إلى بساط أخضر من الحشائش النضرة ، فيما عدا الرقعة التي يرقد تحتها جثمان جون دافيز ، وفشلت كل الجهود المبذولة بعد ذلك ، فبذر البذور ، أو لتقوية التربة بالسماد ، فقد بقيت تلك الرقعة جرداء دائماً .

آخر الأمر ، اقتنع القسس الذين تعاقبوا على تلك الكنيسة ، بأن يتركوا الطبيعة تأخذ مجراها . وكل ما فعلوه ، هو أن أحاطوا قبر دافيز بسياج خشبي وتركه لحاله .

وهكذا ، بقيت تلك الرقعة من الأرض لا تنبت زرعاً ، كدليل دائم على براءة ذلك الرجل الانجليزي المظلوم .

ومن الوقائع القديمة التي امتد أثرها لما يقرب من مائة سنة ، ما حدث في ولاية كاليفورنيا ، في مزرعة دون انطونيو فيلبيز ، والتي تبلغ مساحتها ٨٠٠٠ هكتار من الأرض الخصبة الطيبة . وقد آلت هذه الأرض إلى دون انطونيو عام ١٧٧٥ ، ولما كان رجلاً ناجحاً ، فقد أحسن استغلالها وأصبح من أغنى أغنياء كاليفورنيا في وقته . عاش دون انطونيو طويلاً ، لكن عند وفاته ، لم يكن لديه من بعده أبناء أو زوجة يرثون ثروته .

وفي سنوات حياته ، كان دون أنطونيو يظهر محبته لابنة أخيه دونا باترانيللا ، لهذا كانت متأكدة من أنها ستنال نصيباً طيباً من ميراث دون فيلبيز . لكن عندما قضى دون أنطونيو ، ظهر أن الوصية الوحيدة التي عثر عليها ، كانت تخلو من اسم ابنة أخيه دونا باترانيللا . وهكذا ، لم يبق لها من أحلامها القديمة ، سوى ترددها المستمر على المحاكم ، في محاولة لإثبات حقها المهدر ، وصياحها في كل مكان معلنة انها كانت ضحية مكيدة محكمة دبرها الورثة .

لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد . فعندما حلت ساعة وفاتها ، عام ١٨٦٣ ، وكانت قد أصبحت امرأة عجوزاً ، بلغت مرارتها الغاية ، رفعت دونا باترانيللا جسدها عن الفراش ، مستندة إلى كوعها ، وأطلقت لعنتها من فراش الموت على دون أنطونيو كورونيل ، الرجل الذي ورث المزرعة . صاحت متوعدة بكارثة تحيق بالمزرعة ، ودعت بأن تهبط على المزرعة « أطياف السماء ونار الجحيم » ، هكذا صاغت لعنتها ثم سقطت ميتة .

دب الخوف في قلب كورونيل ، عندما وصلت إلى سمعه تلك اللعنة ، ورأى أن خير وسيلة لتجنب شر اللعنه أن يبيع المزرعة إلى محاميه . ذلك لأن المحامي لم يعر هذه اللعنة أي اهتمام ، فقد كان ينظر إلى مثل هذه الأمور باعتبارها من خرافات العجائز . وصرف همه إلى استثمار المزرعة بشكل أفضل . ثم باع حقوق الري بالمزرعة نظير مبلغ كبير من المال ، وصل إلى ثمانية آلاف دولار ، وبينما كان يحتفل بهذه الصفقة في احدى الحانات ، نشبت معركة بالمسدسات بين السكارى ، مات خلالها !

انتقلت ملكية مزرعة فيلييز بعد ذلك إلى الثري ليون بالدوين ، الذي أعلن إفلاسه بعد ذلك عندما اشتعلت النار في محاصيله ، وتفشى الوباء بين قطعان ماشيته .

وتجسدت لعنة المرأة المظلومة ، عندما تحولت أطياف السماء التي جاءت في لعنتها عام ١٨٨٤ ، إلى أمطار عنيفة قوية متواصلة ، تجمعت في الوادي ، وفاضت مندفعة في شكل سيول ، محطمة كل المنشآت التي قامت فوق أرض المزرعة .. أو ما كان يدعى يوماً مزرعة فيلييز .

تحولت المزرعة عام ١٩٣٣ إلى حديقة عامة ، تسمى حديقة جريفيث ، ويبدو أن اللعنة القديمة كانت ما زالت سارية المفعول . فقد كان من بين المشاريع الحكومية ، مشروع لتنظيف وتجميل هذه الحديقة الواسعة ، وفي ٢ أكتوبر ١٩٣٣ ، اشتعلت النار في أشجار الحديقة فجأة ، وحاصرت ٢٧ عاملاً من عمال النظافة ، فقضت عليهم !

قصر ميرامار

ومن اللعنات الغريبة ، تلك اللعنة التي شاعت حول قصر ميرامار ، على الشاطئ الأزرق الجميل للبحر الأدرياتيكي ، بالقرب من مدينة تريستا . جرى تشييد ذلك القصر في منتصف القرن التاسع عشر . بأمر من إمبراطور النمسا فرانز جوزيف ، وعند اكتماله ، قدمه هدية إلى أخيه الأرشيدوق ماكسيمليان . أقام الأرشيدوق بقصر ميرامار لعدة سنوات ، وبارحه ليتولى مهام منصبه كامبراطور للمكسيك ، حيث أصيب برصاصة قاتلة ، أثناء مغامرة قام بها .

من بعده ، سكن قصر ميرامار أخت زوجة ماكسيمليان ، الإمبراطورة النمساوية اليزابيث ، وابنها رودلف ولي عهد النمسا . وفي ١٨٨٩ ، وجد رودلف مع عشيقة له ، وقد لفظا أنفاسهما في مايرلنج بالقرب من فيينا . وبعدها بتسع سنوات ، تلقت الإمبراطورة إليزابيث عدة طعنات وهي في جنيف ، مما أدى إلى وفاتها .

سمع الأرشيدوق فرانسيس فرديناند ، ابن عم رودلف ، والذي يليه في ولاية عهد النمسا ، عن لعنة قصر ميرامار ، فسخر وضحك منها ، وانتقل ليسكن بالقصر . وقد دفع حياته وحياة زوجته ثمناً لتلك السخرية ، عندما لقيا حتفهما رمياً بالرصاص في أحد شوارع مدينة سراييفو .. وكان ذلك الحادث هو الشرارة التي أشعلت الحرب العالمية الأولى .

بعد الحرب أصبح القصر ، ومدينة ترييستا يتبعان إيطاليا ، فسكن القصر دوق أوستا ، الذي كان يساند موسوليني ، الذي اختار أوستا حاكماً للحبشة . فمات كأسير حرب في أفريقيا الشرقية التي كانت خاضعه

للتاج البريطاني .

وحتى عندما انتهت الحرب العالمية الثانية ، واستولت القوات الأمريكية على تريستا لبعض الوقت ، أصبح القصر مقراً للقائدين الأمريكيين بريانت مور ، وبرنابس ماكفادين ... وقد مات كل منهما بعد ذلك بالسكتة القلبية .

التساؤل الذي يثور بعد استعراض هذه الوقائع المتتابعة ، من الذي أطلق لعنة قصر ميرامار ؟ .

عجائب الزمان والمكان

المعنى الحقيقي للزمان والمكان ، يختلف تماماً عما نشعر به أو ندركه بحواسنا ... المعقول بمقاييسنا أصبح وهماً ، والأكيد الثابت من واقع حواسنا أصبح محل شك كبير . الفواصل التي نضعها بين المكان والزمان .. بين هنا وهناك ، وبين الأمس واليوم والغد كلها ذاتية لا تعبر عن حقيقة ما يحدث .. كل هذا ، يجب أن يدفعنا إلى التأني عند إصدار أحكامنا القاطعة ، حول الظواهر الغريبة التي قد لا تقبلها عقولنا ، أو التي تتناقض مع تعارفنا عليه ، تلك الظواهر أو الوقائع التي يختلط فيها الزمان بالمكان .. كأن يتواجد شخص واحد في مكانين متباعدين في نفس الوقت كما في هذه الوقائع الغريبة .

لغز المحامي المريض

كان توماس ميهان رجلاً أنيقاً ، في الثامنة والثلاثين من عمره ، يحقق نجاحاً مشهوداً في مهنة المحاماة ، يعمل في نفس الوقت كمستشار لهيئة التوظيف بولاية كاليفورنيا . كان مكتب المحاماة الخاص به في نفس المدينة التي يسكنها ، مدينة كونكورد . وفي أول فبراير عام ١٩٦٣ ، كان السيد ميهان قد أنهى زيارته لمدينة أوريكا التي امتدت لأسبوع كامل ،

ينجز خلالها عملاً يتصل بدراسة حالات التوظيف المعروضة على الهيئة ، التي يعمل مستشاراً لها .

غادر السيد توماس ميهان أوريكا حوالى الثانية بعد الظهر ، قائلاً لزملائه في الهيئة إنه يشعر بزحف مرض الأنفلونزا عليه . قاد ميهان سيارته قاصداً مدينة كونكورد ، ثم توقف أثناء سفره عند إحدى الحانات في الطريق ، ليشرب كأساً . من هنالك اتصل بزوجته تليفونياً ، وأخبرها بالمرض الذي يزحف اليه ، وبالأعراض التي يشعر بها ، وأخبرها أنه يتصل بها ليقول إنه قد يصل متأخراً بعض الشيء ، فقد اعتزم أن يقود سيارته متمهلاً نتيجة لحالته الصحية . نصحته الزوجة أن يتوقف عند أحد الموتيلات التي في الطريق ، ليمضي ليلته ، بدلاً من قيادة السيارة وهو في تلك الحالة .

حوالى الخامسة إلا الربع عصراً ، وصل السيد ميهان إلى مدينة ريدواي التي تقع على طريق السفر ، وسجل اسمه في موتيل فورلي وينكس ، الذي يقع شمال مدينة جاربرزفيل بعدة أميال . بعد أن أجرى الترتيبات الخاصة بإقامته في ذلك الموتيل ، عاد إلى سيارته متوجهاً إلى مدينة جاربرزفيل وتوقف عند مستشفاها يبحث عن طبيب . قال السيد ميهان لإحدى الممرضات « أشعر انني قد توفيت ! » .

أجرت الممرضة للسيد ميهان بعض الفحوص المبدئية ، إلى حين وصول الطبيب . وعندما ذهبت لتدعو الطبيب ، عادت معه إلى حيث يرقد ميهان في السابعة إلا الربع مساء فلم يعثرا على أثر لميهان ، كان قد اختفى من المستشفى ! ..

في السابعة ، أبلغ السيد مارفن مارتن وزوجته أقرب مركز شرطة ، أنهما شاهدا لتوهما سيارة مسرعة بشدة ، تندفع إلى مياه نهر أيل . على الفور ، نقلت الشرطة هذه الرسالة ، إلى واحدة من سيارات دورية الشرطة التي تسعى في المنطقة ، فتوجهت إلى مكان الحادث .

في الثامنة ، دخل توماس ميهان إلى موتيل فورتي وينكس الذي كان قد حجز غرفة فيه ، وقال لصاحب الموتيل ، تشيب نانميكر « هل أبدو كما لو كنت ميتاً ؟ .. لا أدري لماذا أشعر كما لو أنني قد توفيت ، ومات معي العالم بأكمله ! » . وقد لاحظ نانميكر أن حذاء ميهان ، وحوالى ثلاث بوصات من الطرف الأسفل لسرواله ، قد أصابهما البلل ، وتلوثا بالوحل . مضى ميهان إلى حجرته .

في التاسعة والنصف ، طرق أحد عمال الموتيل باب حجرة ميهان ، وأبلغه أن المكالمة التي كان قد طلبها ، للاتصال بزوجته في مدينة كونكورد ، يصعب توفيرها ، بسبب عاصفة قوية ، عطلت الاتصالات التليفونية . وقد لاحظ عامل الموتيل أن السيد ميهان قد بدل ملابسه ، وارتدى حلة سوداء ، وقميصاً أبيض .

في العاشرة إلا الربع مساءً ، تم العثور على سيارة ميهان وسط مياه نهر أيل ، كانت غارقة في النهر حتى مصابيح الإضاءة الخلفية التي كانت لا تزال مضاءة . وجدت الشرطة آثار دماء على سطح السيارة ، وآثار أقدام مختلطة بالدماء تتجه من الماء إلى طريق السيارات السريع ، عبرت شاطئ النهر ، وعند بداية الطريق توقفت آثار الأقدام . لم تعثر الشرطة على أحد داخل السيارة الراقدة في الماء . وقد قرر رجال الشرطة أن السيارة

اندفعت إلى النهر ، وهي تنطلق بسرعة عالية على الطريق .

عندما توجه رجال الشرطة إلى موتيل فورتي وينكس ، لم يعثروا على ميهان في حجرته ، وعثروا فقط على ملابسه وحقيبته . الملابس المبتلة والموحلة ، التي رأى صاحب الموتيل ميهان يدخل بها إلى حجرته ، وجدت داخل الحجرة ، لكنها لم تكن مبتلة ، ولم يظهر أي أثر للوحل .. والأهم من ذلك كله اكتشاف أن السيد ميهان قد اختفى نهائياً ! ..

جرت هذه الأحداث مساء أول فبراير ، ولم يظهر أي أثر لميهان حتى ٢٠ فبراير . عندما وجدت جثته عائمة فوق مياه النهر ، على بعد ٦٠ ميلاً من النقطة التي غرقت عندها السيارة . وعند تشريح الجثة ، قال الطبيب إن سبب الوفاة هو الغرق ! .. لقد ظهرت بعض آثار الجروح برأسه لكنها كانت جروحاً سطحية . ومن هذا استنتج الطبيب أن السيد ميهان كان حياً بعد أن اندفعت السيارة إلى النهر ، لكنه غرق بعد ذلك .

وضع ذلك الحادث سلطات الأمن أمام عدد من الألغاز التي يصعب العثور على حل لها .

إذا كان ميهان قد استطاع النجاة من الحادث ، وخرج من السيارة ، وسار على شاطئ النهر حتى وصل إلى طريق السيارات السريع ، ثم انزلق ، وعاد ليسقط في النهر ، ليغرق فيه ، وليحمله تيار النهر مبتعداً به عن مسرح الحادث ، إذا كان هذا هو التفسير المعقول للقرائن ، فكيف رآه صاحب الموتيل والعامل بعد ذلك ؟ .. كيف استطاع الوصول إلى الموتيل ، وكيف قام بتنظيف ملابسه ، ثم عاد ليغرق في النهر ؟ ..

لم يستطع رجال الشرطة تكذيب شهادة صاحب الموتيل وعامله ، فقد

أصرا على انهما شاهدا السيد ميهان وتحدثا إليه .. فكيف استطاع ميهان أن يتواجد في مكانين في نفس الوقت .. في الموتيل ، وفي النهر ؟ ! ..

قنبلة الدفاع

ثم واقعة أخرى ، حيرّت المحلّفين في إحدى محاكم نيويورك ، في الثامن من يوليو عام ١٨٩٦ .

كان المتهم يدعى وليام ماكدونالد ، وقد وجهت اليه تهمة السرقة ، التي أنكرها بإصرار . قدم ممثل الإدعاء ستة شهود ، اتفقت أقوالهم على أنهم باغتوا المتهم في منزل بالطريق الثاني ، حيث كان متلبساً بالسرقة ، يضع بعض المسروقات التي اغتصبها من المنزل داخل جوال . وقالوا إن المتهم عندما شعر بوجود الشهود ، ألقى جوال الغنائم على الأرض ، واشتبك معهم في عراك ، ثم فر هارباً ، ولكن ليس قبل أن يتثبت الشهود الستة من ملامحه . وبلا تردد ، أشار الشهود واحداً بعد الآخر إلى وليام ماكدونالد باعتباره اللص المذنب .

إلى هذا الحد ، لا يوجد في الواقعة ما يثير . وهي لا تخرج عن كونها حادثة سرقة عادية ، تصادفها شرطة نيويورك بوفرة ، يوماً بعد يوم . لكن الدفاع كانت لديه مفاجأة يرد بها على ممثل الإدعاء .. مفاجأة أضفت على هذه الواقعة العادية ، غرابة ممعنة .

كان الشاهد الأول الذي تقدم به الدفاع ، رجلاً وقوراً طيب المظهر ، قدم نفسه باعتباره الأستاذ فاين ، والمهنة : منوم مغناطيسي ! ..

لكن عندما واصل الأستاذ فاين تقديم نفسه أمام المحكمة ، اكتشف

الجميع أنه ليس واحداً من العديدين الذين يكسبون عيشهم من ممارسة التنويم المغناطيسي أمام الجمهور . فقد ظهر من الأوراق التي قدمها ، أن الأستاذ فاين كان طبيباً مرموقاً ، ظهرت بحوثه ومقالاته في أهم الدوريات الطبية في أنحاء البلاد . أما التنويم المغناطيسي ، فقد كان دكتور فاين يمارسه أثناء عطلاته في أوقات فراغه . كان يهوى تقديم عروض التنويم المغناطيسي أمام الجمهور ، وكان يأخذ إجازتين قصيرتين كل عام ، لممارسة هذه الهواية .

شرح دكتور فاين أنه كان منشغلاً بتنويم رجل على مسرح بروكلين ، في نفس الوقت الذي جرت فيه واقعة السرقة التي اتهم بها ماكدونالد ، وعلى بعد عدة أميال من مسرح الجريمة ..

وهنا ، ألقى الدفاع بقنبلته ! ..

طلب الدفاع من دكتور فاين أن يشرح للمحكمة ظروف عرض التنويم المغناطيسي الذي كان يقدمه ، فقال إنه قام بتنويم الرجل مغناطيسياً ، فوق مسرح مضاء بالكامل ، أمام جمهور من المتفرجين يصل إلى عدة مئات . سأله الدفاع « استاذ فاين ، هل يمكنك أن تتعرف على الرجل الذي قمت بتنويمه مغناطيسياً على المسرح ؟ » .

بهدوء أشار الأستاذ فاين إلى المتهم قائلاً « هذا هو .. إني أتذكره جيداً ! » .

ضجت قاعة المحكمة بصيحات الإثارة وبالكلمات التي تحمل معنى عدم التصديق ، واختل النظام بين جمهور المحاكمة ، مما اضطر القاضي إلى الضرب بمطرقته أكثر من مرة ، طالباً الصمت والهدوء . لقد جاءت

شهادة الطبيب متناقضة تماماً ، مع أقوال أولئك الشهود الذين شاهدوا المتهم وهو يسرق ، وتعاركوا معه ، قبل أن يهرب منهم . فهل كان الطبيب مخطئاً في إشارته إلى المتهم وتعرفه عليه ؟

قدم الدفاع إلى القاضي ، ستة شهود من مواطني بروكلين ، هم أعضاء اللجنة المشرفة على العرض الذي قدمه دكتور فاين ، وهم الذين كانوا ينظمون العمل على خشبة مسرح بروكلين ، على بعد خمسة أميال من مكان السرقة التي جرت في حي مانهاتن .

وقد شهد دكتور فاين ، انه بينما كان ماكدونالد واقعا تحت تأثير التنويم المغناطيسي ، كان يقوم بتنفيذ كل ما يطلبه منه هو ، ولكن لم يكن من بين هذا ، أن يقوم برحلة إلى نيويورك ، ولا ارتكاب أي جريمة من أي نوع . قال دكتور فاين « لقد كان ماكدونالد خامة طيبة للتنويم المغناطيسي ، قوي الاستجابة ، سريعاً في تنفيذ التعليمات . وأقرر أنه كان في حالة التصلب الهستيري « كاتاليبتك » وذلك يعني أنه لفترة من الوقت ، كان محروماً من أي إحساس أو شعور ، غير تلك الأحاسيس والمشاعر التي أوحيت له بها » .

سألني القاضي « هل من الممكن في رأيك أيها الأستاذ ، أن تكون روح المتهم ، إذا جاز التعبير ، كانت تتجول في أماكن مختلفة ، بينما جسده المادي ظل ماثلاً بكامله على المسرح ، أمام أبصار جمهور المتفرجين ؟ »

أجاب دكتور فاين « نعم .. هذا ممكن » .

قالت هيئة المحلفين إن جميع الشهود كانوا صادقين في أقوالهم ،

وإن ماكدونالد كان يحاكم من زاويتين ، ماكدونالد الجسد ، وماكدونالد الروح .. وهكذا حكم المحلفون ببراءة المتهم .

وقد اعتبرت هذه المحاكمة من المحاكمات النادرة ، ذلك لأن الحكم تضمن قبول ظاهرة من الظواهر الخارقة ، لم يسبق أن أخذ بها أحد في قاعات المحاكم .

لقد مات البابا الآن !

أما هذه الواقعة فيرجع تاريخها إلى الوراء .

لقد جرت في القرن الثامن عشر ، بمدينة أريينزو بإيطاليا ، والتي كانت الرحلة منها إلى روما ، تستغرق في تلك الأيام أربعة أيام كاملة .

في ٢١ سبتمبر عام ١٧٧٤ ، كان الفونساس ليجوري ، أحد رجال الدين ، يرتدي ملابسه وشاراته الكنسية ، ليقيم قداساً . فجأة ، شعر القس بالضعف والدوار ، فأسرع يستند إلى أحد المقاعد بالحجرة ، ثم ارتمى على الأرض ، غائباً عن الوعي ، فيما عرف بعد ذلك بالنوم الهستيري .

بقي ليجوري على حالته هذه لعدة ساعات حتى بعد أن حمله العاملون في الكنيسة إلى فراشه . وعندما أفاق كان الوقت عصراً ، وكانت دهشته كبيرة عندما وجد نفسه في فراشه ، وقسس الكنيسة وخدمها يحيطون بالفراش . وعندما سألهم عن السر في هذا ، أبلغوه أن الغيبوبة الطويلة التي غرق فيها ، جعلتهم يخشون أن يكون قد توفي ، أو أن يكون في حالة احتضار . قال القس ليجوري « لا .. بالمرة .. لقد اتيت لتوي من جوار

سرير البابا في روما .. » والتقط أنفاسه وهو ينظر إليهم ، ثم يستطرد قائلاً في لهجة تقريريه « لقد مات البابا الآن ! . »

أجمع الذين كانوا بالحجرة ، أن ما ذكره القس لا يخرج عن كونه جانباً مما كان يحلم به اثناء غيبوبته .. ومع هذا ، عندما جاء الخبر من روما بوفاة البابا بعد ذلك بأربعة أيام ، اعتبر أغلب الذين سمعوا كلام القس بعد أن أفاق من غيبوبته ، مجرد مصادفة محضة . مع أن البابا توفي بالضبط في الوقت الذي حدده القس ليجوري ، بعد أن أفاق من غيبوبته ، وهو راقد على فراشه بمدينة أريينزو .

وقد تضاعف غموض الموضوع ، عندما وصلت الأنباء التفصيلية عن وفاة البابا إلى كنيسة أريينزو ، فقد جاء في تقرير الفاتيكان أن من بين من وصلوا إلى جوار سرير البابا المحتضر ، كان القس الفونساس ليجوري .

وعندما جرى تحري المسألة ، مع من حضروا احتضار البابا ، أصر العديد منهم أنهم رأوا ليجوري حاضراً معهم ، وأنهم تحدثوا إليه . وهم على ثقة تامة من ذلك ! .

مرة أخرى .. كان القس الفونساس ليجوري صريع حالته الهستيرية في أريينزو ، وفي نفس الوقت كان يصلي إلى جوار سرير البابا المحتضر في روما .

لم يدخل قاعة الاطلاع !

وواقعة أخرى جرت عام ١٨٨٨ .

كان طبيب القلب الأستاذ واين ويسكوت على موعد مع الأسقف ليمون ، بقاعة الاطلاع ، بالمتحف البريطاني . وكانا قد اتفقا على أن يلتقيا في الثانية والنصف من بعد ظهر ١٢ أبريل ١٨٨٨ .

وصل الأسقف ليمون متأخراً لبضع دقائق ، بينما وصل دكتور ويسكوت في موعده تماماً . عندما دخل دكتور ويسكوت إلى قاعة الاطلاع ، تبادل الحديث مع صديقته السيدة اليزابيث سالمون ، ثم مضى إلى أقصى ركن بالقاعة الكبيرة ، واختار مقعداً جلس عليه في انتظار الأسقف .

وصل الأسقف متأخراً ، كما قلنا ، فأبلغته السيدة اليزابيث أن صديقه الطبيب قد وصل ، وهو في انتظاره داخل القاعة ، ثم قادت الأسقف إلى حيث مضى دكتور ويسكوت .. لكن الطبيب لم يكن هنالك ! ..

ظهرت الدهشة الشديدة على السيدة اليزابيث . فقد كانت واثقة أنها لم تر دكتور ويسكوت وهو يغادر القاعة . فلجأت السيدة إلى اثنين ممن كانوا في قاعة الاطلاع بالقرب من مدخلها . فقرر الاثنان أنهما يعرفان دكتور ويسكوت معرفة جيدة ، وأنهما قد تحدثا اليه حديثاً مقتضبا ، لكنهما لم يرياه يخرج من القاعة .

خمسة أشخاص ، كلهم يعرفون دكتور ويسكوت جيداً ، رأوه يدخل قاعة الاطلاع ، أربعة منهم تحدثوا إليه .. ومع هذا ، فلم يره أحد منهم وهو يغادر القاعة .

وحقيقة الأمر أن دكتور ويسكوت لم يحدث أن دخل قاعة الاطلاع أصلاً ! . لأنه كان في بيته ، على بعد عدة أميال من المتحف ، يرقد على فراشه ، وقد ارتفعت درجة حرارته ، نتيجة لنوبة برد أصابته .

وقد شهدت عائلة الطبيب في اليوم التالي ، أنه لم يخرج من البيت طوال ذلك اليوم ، ولا اليوم السابق ، الذي يزعم خمسة أشخاص أنهم قابلوه فيه بقاعة الاطلاع بالمتحف البريطاني ، وتحدثوا إليه .

وحتى الآن لم يصل أحد إلى حل لهذا اللغز الغريب الغامض .. كيف كان دكتور ويسكوت في مكانين متباعدين في آن واحد ؟ ! .

المحتويات

صفحة

رقم الإيداع : ٨٧/٥٧٨٩
الترقيم الدولي : ٩ ـ ١٣٣ ـ ١٤٨ ـ ٩٧٧

مطابع الشروق

بيروت : [illegible] ص.ب : ٨٠٦٤ ـ برقياً : داشروق
تلكس : [illegible] هاتف : [illegible] ـ فاكس : [illegible]
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني ـ [illegible] ـ فاكس : [illegible] ـ تلكس
[illegible] ٨ شارع سيبويه المصري ـ مدينة نصر ـ [illegible] ـ فاكس : [illegible]

عجائب بلا تفسير

- طفل في الثالثة من عمره . له زوجة وأولاد بمدينة أخرى !
- ٢٨ حريقاً تنشب في أنحاء بيت السيد هاكلر خلال يوم واحد .
- أمطار حمراء تحمل معها آلاف الطيور الميتة .
- قطار الأضواء الذي ظهر في سماء كندا . وأثار حيرة العلماء .
- القس يرقد على فراش المرض ، بينما يحضر في نفس الوقت احتضار البابا بالفاتيكان .
- إنسان الثلج البغيض ، يكسوه الشعر ، خجول ، يتغذى بالجذور النباتية .
- لعنة قصر ميرامار تشعل شرارة الحرب العالمية الأولى .
- النعش الضخم الذي غادر مكانه وصعد أربع درجات إلى خارج القبر !